الثقافة ثراء وسيرورة لا تنتهي

الأسبوع الأدبي

www.awu.sy

الأسبوع الأدبي - "السنة الثلاثون" العدد: "1528" الأحد 2017/2/12م - 13 جمادة الأولى 1438هـ | 16 صفحة | 25 ل.س

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن تصدر عن اتحاد الكتاب العرب في سورية

كلمة في مؤتمر أستانا
• د.علي دياب ـ ص2

"قائد الأوركسترا"!
•د.خلف الجراد ـــ ص3

بصرى.. عاصمة الأنباط
•د . خليل المقداد ـ ص 6

محمد الحريري الشاعر المصوّر
• عيسى فتوح ـــ ص 7

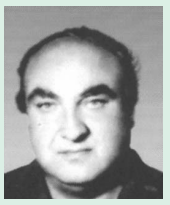

•أ.د.نضال الصالح

الافتتاحية

سيف دمشقيّ

ربّما ما مِن قارئ للرواية العالمية لا يعرف رائعة «الأخوة الأعداء» لليوناني «نيكوس كازانتزاكيس»، الرواية الأكثر أهمية عن الحرب التي شهدتها اليونان أواخر الأربعينيات من القرن التاسع عشر، وربّما لا يعرف أيضاً رواية البريطانيّ «جيفري آرتشر» التي تحمل العلامة اللغوية نفسها لرائعة «كازانتزاكيس»، ومن قبلُ رائعة «الأخوة كرامازوف» للروسي «فيودور دوستويفسكي، وسوى ذلك ممّا ينطوي تحت عباءة التخييل الروائي العالميّ الذي اشتغل على قيمة الصراع بين الخير والشرّ، وبين الجمال والقبح، وبين النور والظلمة، داخل الوطن الواحد، أو المجتمع الواحد، أو الأسرة الواحدة.

وربّما ثالثاً ما مِن قارئ للرواية السورية لا يعرفُ عملاً أو أكثر ممّا صدرَ للروائي السوريّ فوّاز حدّاد الذي مثّلت كتابته السردية، بيتيمته القصصية ورواياته، علامة بحقّ في المنجَز السردي السوري في العقود الثلاثة التي مضت. غير أنّه ليس ربّما، بل ما يشبه اليقين، أنّ ندرة من القراء بلغتها «بديعة» حدّاد الأخيرة «السوريون الأعداء» التي كانت صدرت عن دار رياض الريس قبل ما يزيد على سنة، والتي تنتمي بامتياز إلى ما كنتُ اصطلحتُ عليه غير مرة بالعمى السرديّ، أي الكتابة التي تكتفي من الواقع بما يشاء الكاتبُ لا بما يقول المرجع الذي تصدر عنه، والتي تقصي أيّ نصّ ينتمي إلى مجالها، مهما بلغَ من القيمة على مستوى البناء، خارج حقل الأدب، وتضعه في حقل الخطاب، بل الأيديولوجية، ومن ثَمّ يخسر هذا النصّ نسبته إلى مرجعه، أي الخطاب، كما يخسر رصيده في مدوّنة الأدب، فيصحّ وصفه، آنذاك، بالكتابة الخنثى التي ليست أيديولوجية كما أنّها ليست أدباً.

«فريدةُ» حدّاد تلك، وبسبب ما يتفصّد من قيح طائفيّ في محكيّها، وشأنَ غير كتابة، قصصية أو روائية، ولغير سوريّ بالهويّة، ليست شاهد زور على الواقع فحسب، بل هي شريكٌ أيضاً، وبهذه الدرجة أو تلك، في نزيف الدم السوريّ، وما تداعى، ويتداعى، من أوابد ومعالم تاريخية بمعاول الظلام، في سورية منذ نحو سنوات خمس، كما هي، شأن مثيلاتها، ولذلك يمكنُ وصفُها بأنّها مجازٌ روائي عن الجرح السوريّ، كما هي مجازٌ أيديولوجيّ بآن.

ليس من غرض هذا المقال تفكيك ذلك «العمى» الذي طبع «أخوة» حدّاد، أو سواه ممّن توهّم أنّه يكتب تاريخ هذا الجرح، أو ما سبقه، بل مواجهته، أي العمى، بالواقع، وبالحقيقة، وبالسوريين أنفسهم، السوريين بحقّ، أي السوريون هويةً وهوىً ووعياً وانتماءً، لا السوريون هويةً فحسب.

في بريدي الإلكتروني، قبل أيام، رسالةٌ من صديق عُمْر، وتوءم روح من الزمن السوريّ الجميل، الدكتور نضال حبّاق، أحد أهمّ جرّاحي القلب في سورية ومدير مشفى الباسل لجراحة القلب في حلب حتى رحيله عنها، والذي ظلّ متجذراً فيها إلى ما بعد أن دهمَها الظلام قبل نحو ثلاث سنوات، ثمّ غادرها مُكرهاً إلى غير مكان، حتى استقرّت الهجرات القسريّة به في الإمارات العربية المتحدة أخيراً.

وممّا في الرسالة أنّه الآن مدير عام لمشفى هناك افتتحته، قبل أيّام، مجموعة من المغتربين السوريين، واختارت له اسم: «المركز الدمشقي الطبيّ»، كما اختارت السيف الدمشقيّ شعاراً له، وأيقونة لكلّ ما يعنيه، بالإضافة إلى تزيين أبواب المشفى الداخلية والخارجية به.

دمشقُ اسمٌ للمشفى، وسيفُها علامةٌ له، وسوريون لم تغادرهم سورية، تلك وحدها تجعل المرء يشعر بالزهوّ بانتمائه إلى سورية، فكيف إنْ أكمل الصديق د. حبّاق قائلاً: والمشفى يستقبل السوريين، ويعالجهم، على نحو يكفل بقاءه، وليس على نحو يثمّر أرصدة مالكيه!

هؤلاء هم السوريون، السوريون الأخوة لا السوريون الأعداء في «زراية» حدّاد، ولا بدّ أنهم هم أنفسهم مَن عنتِ الفتاةُ الأندلسيّة بقولها للشاعر عمر أبو ريشة:

هؤلاء الصيدُ قومي فانتسبْ، إنْ تجدْ أكرمَ من قومي رجالا.

في ذكرى تأسيس الاتحاد:

عندما حلم محمد كرد علي.. بوجود مؤسسة للكتّاب العرب

مع حلول الرابع من شباط.. ذكرى تأسيس (اتحاد الكتاب العرب) في 1969/2/4، بموجب المرسوم الجمهوري رقم /72/ للعام 69، والذي نص على أن الاتحاد يتمتع بالشخصية الاعتبارية، ومركزه دمشق، وله فروع في جميع المحافظات..

مع حلول هذه الذكرى الغالية، تطالعني بين أوراق ودوريات قديمة وثيقة هامة فيها حديث للعلامة الراحل محمد كرد علي أول وزير للمعارف في سورية ومؤسس وأول رئيس لمجمع اللغة العربية بدمشق، والذي كان اسمه – المجمع العلمي العربي- عند تأسيسه في مطلع القرن العشرين..، والذي لم يكن أعضاؤه يقتصرون على السوريين منذ ذلك الوقت..، تعود الوثيقة (الصورة) إلى العام 1933م، ونشرت تلك المقالة/ الحديث في مجلة (كل شيء والدنيا) المصرية في عددها الصادر في آذار/ مارس 1933، تحت عنوان «يجب أن يكون لرجال الفكر رابطة قوية»، وذلك على شكل حديث صحفي مع الراحل محمد كرد علي.

ويبدو في سياق حديث كرد علي، أنه كانت هناك محاولات لتأسيس جمعيات للأدباء والكتاب آنذاك، وقد حذر من أن تعددها قد يضر بالنهضة الفكرية ويضعفها ويتسبب بالتشويش والتهويش والتعصب والمنافسة الرخيصة والبغيضة..، فدعا إلى تأسيس رابطة واحدة قوية لرجال الفكر، لا يسمح بالانضمام إليها إلا لأديب كبير وعالم قدير، عرف كل منهما بأدبه وفضله وعلمه وعقله..

ودعا إلى اندماج الجمعيات الموجودة آنذاك، في تلك الرابطة/ الحلم التي اقترحها، الرابطة الواحدة التي ينتقى أعضاؤها من رجال العلم والأدب الذين يأخذ عنهم الناس، ويسجل عنهم التاريخ..

والأمر الجدير بالإشارة هو أن محمد كرد علي كان يحلم بتلك الرابطة لتكون رابطة عربية تضم الكتاب والأدباء العرب من مختلف أقطارهم باعتبارها رابطة قومية كما يصفها..، ويمكن الاعتماد عليها في تقدم العلم والأدب وهذا بالضبط ما يجسده اليوم (اتحاد الكتاب العرب) في سورية دون غيره من اتحادات وروابط وجمعيات الكتاب والأدباء العرب في الأقطار العربية..، فهو الوحيد الذي يقبل في عضويته كتاباً وأدباء عرب غير سوريين..

ويحمل الأفكار ذاتها التي حلم بها الكاتب والأديب والباحث الكبير الراحل محمد كرد علي..

فتحية لروحه الطاهرة..

والتهنئة لزملائنا واتحادنا العتيد، في ذكرى تأسيس مؤسستنا الرائدة التي نفخر بالانتماء إليها (اتحاد الكتاب العرب).

يجب أن تكون لرجال الفكر رابطة قوية

من حديث للاستاذ محمد كرد علي
وزير المعارف السابق في سوريا
وعضو مجمع اللغة العربية

حدث أن هناك حركة بين كبار الادباء والعلماء ترمي إلى إيجاد أو اتخاذ نادٍ يدعى « نادي القلم » يضم خيرة المشتغلين بالقلم والأدب ...

وهذه الحركة شريفة الغاية حميدة المقصد ، خصوصاً لصدورها من بعض كبار العلماء والادباء في مصر ، لان العلم والادب في حاجة إلى تعاون رجالها وتشاورهم على السير في الطريق المجدي ، وهذا لا يكون إلا إذا توحدت الجهود وتآزرت الايدي ، وسعى كل فريق ، بل كل عالم وأديب ، إلى غاية واحدة ورمى الجميع إلى هدف واحد ، وهو رفع مستوى اللغة العربية ، وأحياء آدابها وعلومها ، ومسايرتها للتطور الحديث ، حتى لا تتخلف عن سواها في ميدان الرقي الذي تتبارى فيه الآن جميع اللغات الحية

ولست بحاجة إلى بيان أن تعدد الجمعيات الادبية ليس من شأنه أن يقيمه النهضة كثيراً ، بل أعتقد أن هذا التعدد يضر هذه النهضة ويضعفها ، ويلقي فيها شيئاً من التشويش والتهويش والتعصب والبغضاء الرسمية

فلكان عندنا رابطة واحدة قوية لرجال الفكر ، لا عدة روابط ، وجمعيات ضعيفة لا تفيد اللغة بمجموعها ان لم تضرها بما ينشأ بين اعضائها من الجدال والنزال والمنافسة البغيضة

يجب ان تكون لرجال الفكر رابطة قوية لا يسمح بالانضمام اليها الا لاديب كبير وعالم قدير ، عرف كل منهما بادبه وفضله وعلمه وعقله ، ولا يكون ذا صفات ممتازة على سواه ، وهناك تكون هذه الرابطة أو الجمعية قادرة على اقتناء الكتب والادب والعلم ، وتكون فيجمع الفتوى كتبات يعني منه ويسجل

الاستاذ محمد كرد علي

العناصر القوية ليتعاونوا في خدمة النهضة الحاضرة ، فاني كفيل بان النهضة ستتقدم خطوات واسعة في سنوات قليلة ، وسيكون سيرها إلى الامام سريعاً قوياً

وتسألني عن الرابطة هل يجب ان تكون شرقية أو اسلامية أو عربية ؟ والجواب عن ذلك ان لكل رابطة مزاياها ولكن الامم العربية في حالتها الراهنة أحوج ما تكون الى الرابطة القومية ، خصوصاً انهم تجمعهم كلمة واحدة وقبلة واحدة ، فالرابطة العربية هي التي يجب ان تكون بين هذه الامم ، لانها رابطة قومية ، ولانها هي التي يمكن الاعتماد عليها في تقدم اللغة والادب

■ ٤ ■

كلمة في مؤتمر أستانا

• د.علي دياب

تناول العديد من المحللين السياسيين والمعلقين، مؤتمر الآستانة وتفاوتت الآراء بين متفائل، لدرجة أن الأزمة السورية شارفت على الانتهاء، ومتشائم لم يعر هذا المؤتمر أي اهتمام لا من قريب ولا من بعيد، وأن الذي يحسم المعركة هو الميدان لا غير؟ وبالنظر إلى طبيعة المؤتمر والظروف التي تم عقده فيها نجد أن كلا الاتجاهين محق إلى هذا الحد أو ذاك فيما ذهب إليه؟ فهي المرة الأولى التي يعقد فيها مؤتمر بين وفد يمثل حكومة الجمهورية العربية السورية، وبين وفد ما يسمى بالمعارضة المسلّحة، وجهاً لوجه واكتفى كل وفد بإلقاء بيانه من دون الدخول في حوار مباشر بين الوفدين، والذي يتم التوقف عنده بالنظر إلى كل من البيانين نجد أن بيان وفد الحكومة السورية كان متزناً وبمستوى المؤتمر الذي علق الكثير من أبناء شعبنا عليه آمالاً كبيرة وعريضة، وعلى الرغم من عدم قناعته وضعف ثقته بالوفد المقابل، فكان حريصاً أن يسهم في تحقيق أي خطوة تقلل من معاناة شعبنا الكريم، وفي إطار إيجاد الحل السياسي للانتهاء من هذه المؤامرة المدبرة لهذا القطر الحبيب، بينما نجد بالمقابل أن وفد المعارضة لم يكن لديه ذاك الحرص، بل وإنما أتى على نقاط تعد من المنسيات بل والمحرّمات، وكأنه يسعى عامداً متعمداً إلى إفشال هذا المؤتمر، وفق رغبات مسيّريه ومموّليه من بعض الأطراف التي أقصيت عن هذا المؤتمر، وهمّش دورها بطريقة أو أخرى، وهذا يفضي إلى أن هذه المعارضة وبكل أسف لا تملك رأياً ولا قراراً، وتفتقر إلى الواقعية في تعاطيها مع الأزمة، ولا تستطيع أن تتحلّل من إملاءات أسيادها ومشغليها، ويظهر أنها ذهبت إلى هذا المؤتمر مكرهة، ونزولاً عند رغبة الطرف التركي أحد الداعمين الأساسيين لها، وذلك بعد اتفاقه مع الطرف الروسي، الذي يعد الراعي الأساس لهذا المؤتمر وبالتنسيق معه، ومع طرف إقليمي آخر مهم وهو: الجمهورية الإسلامية الإيرانية، والطرف التركي بصفته الضامن الرئيس للجماعات المسلحة، وقدرته على تطويعها بسبب ما قدمه لها على مدار السنوات الست الماضية، فإليه وإلى بقية الأطراف المموّلة مادياً يعزى استمرار الأزمة إلى أيامنا هذه!!

لقد انتهى المؤتمر وصدر عنه بيان ختامي موقع من الدول الراعية وهي: روسيا الاتحادية والجمهورية الإسلامية الإيرانية والجمهورية التركية، ونص البيان باختصار على وقف الأعمال القتالية باستثناء داعش وجبهة النصرة باسمها الجديد جفش وبقية المنظمات الإرهابية المرتبطة بهما، والبدء بالعمل لمؤتمرات حوارية سياسية قادمة إن كانت أستانات أخرى، أو جنيفات قادمة كما يقال، أو غيرها للتوصل إلى حل سياسي مع الإقرار بعدم وجود حل عسكري للأزمة في سورية، فإذا أمعنا النظر في هذا المؤتمر وما جرى فيه وطريقة عقده فنجد أنه يشكل خطوة إيجابية باتجاه الحل السياسي والتخفيف عن أبناء شعبنا، إذ تم وضع حد لمعارضة الفنادق كما يقال؟ وأن تلك المعارضة لا علاقة لها بالداخل، وكلّ رجالاتها فيما يسمى الهيئة العليا للتفاوض؟ أو المجلس الوطني؟ وغيرها من أسماء ما أنزل الله بها من سلطان!! ليس لها أي حجم يستحق الذكر؟ وتلك التنظيمات الإرهابية الموجودة على الأرض، صرحت مراراً وتكراراً في أن هذه المعارضات لا تمثلها؟ إلا ما ندر ممّن يمول بعضها وفي الوقت نفسه يموّل معارضة فنادق "الخمس نجوم"، فبفضل حذاقة الراعي الروسي، تم حسم هذا الإشكال ودعيت هذه الفصائل مباشرة إلى مؤتمر الآستانة، وتم إزاحة أو تهميش تلك المعارضات وإبعادها عن هذا المؤتمر، وبالتوازي أيضاً تم استبعاد الدول الغارقة لأذنيها في سفك دم أبناء شعبنا العربي السوري، مثل السعودية وقطر ومن وراءهما في الغرب الأوروبي والأميركي؟؟ واقتصرت الرعاية كما ذكرنا على الطرف الروسي الدولي الأساس وعلى الطرفين الإقليميين في طهران وأنقرة، والنقطة الأخرى أيضاً أنه تم الفصل هذه المرة وبشكل جدي بين الفصائل المسلحة، وأصبحت مطالبة بمواجهة المصنف منها إرهابياً، وكما جاء على لسان الدكتور بشار الجعفري في مطالبته للفصائل التي حضرت المؤتمر أن تنضم إلى الجيش العربي السوري، للإجهاز على تلك التنظيمات كافة، داعش وجفش ومن لفّ لفهما، وهذا إنجاز لا يستهان به، إذ سابقاً لم يكن ليحصل مثل هذا الفرز، فكانوا يحتالون بتغيير الاسم وما شابه؟؟ ويستمرون في مواجهة بواسل جيشنا العربي السوري!! ولكن إلى أي حد سيمضون في ذلك؟ فهذا متروك للمستقبل ولكن تباشيره بدأت بالظهور من خلال المعارك التي بدأت بين تلك الفصائل في شمال حلب، وما نتج عن هذا المؤتمر أيضاً توزيع الحليف الروسي نسخة عن دستور مقترح للجمهورية العربية السورية وأنه سلم نسخة منه لوفد المعارضة المسلحة، وسربت وسائل الإعلام بعضاً من فقراته ويستشم منها أنها لم تأخذ بالحسبان واقع قطرنا، وشعبنا العربي السوري، وما يشكله هذا القطر بالنسبة إلى الأمة العربية، كونه القلب منها، وكما يقال فأهل مكة أدرى بشعابها، فالدستور لابد أن يقره الشعب بأغلبيته، وليس من حق أحد لا إن كان حليفاً ولا غير حليف، أن يفرض ما هو غير مقبول من أغلبية أبناء شعبنا وبالمحصلة نقول: إن عقد مؤتمر الآستانة شكل أكثر من اختراق لصالح الحكومة والشعب العربي السوري، وإن انتصارات جيشنا العربي السوري في بقاع قطرنا كافة، ولاسيما في حلب هي التي أسست لعقده، وإن صدقت الأطراف الأخرى أي المعارضة المسلحة والضامن الأساس لها الطرف التركي، فالآمال كبيرة في أن تمضي الحوارات المستقبلية إلى نتائج إيجابية ومريحة، ومرحّب بها من أبناء شعبنا في الداخل والخارج، وتكون حكومة وحدة وطنية ومن ثم يتم البدء بإعادة الإعمار الحقيقي، دون الخوف من أية التفافات وإعادة الحرب وتدمير ما يتم بناؤه، وتصبح الظروف مناسبة لعودة كل من غادر الوطن، ويعود رأس المال السوري ورأسمال الدول الحليفة والصديقة، بالمساعدة في إعمار ما تهدم من قطرنا الحبيب، وبذلك نكون قد أسدلنا الستار على هذه السنوات العجاف التي مرت على بلدنا، وتكون درساً مفيداً لهؤلاء الذين سوّلت لهم أنفسهم وبإملاءات خارجية أن يعبثوا بأمن وطنهم، ولكن الخشية ستكون من تلك الدول إن كانت عربية أو أجنبية، والتي تم استبعادها وعدم مشاركتها في هذا المؤتمر! أن تعود لتعمل على إفشالها بطريقة أو أخرى من خلال ضخ المزيد من المال والسلاح، لبعض الفصائل المرتبطة بها كي تحول دون الوصل إلى الحل السياسي المنشود، ووضع حد لهذه الحرب الضروس التي يتعرض لها بلدنا الحبيب ولكننا نعود للقول: إن جماهير شعبنا قد عرفت هذه القوى إن كانت داخلية أو عربية أو دولية وستشكل سداً منيعاً في وجه مؤامراتهم ودسائسهم، وستكون داعماً كبيراً لجيشنا وقيادة قطرنا إلى أن نحقق النصر النهائي على أعداء الوطن والعروبة.

> المعارضة لا تملك رأياً ولا قراراً، وتفتقر إلى الواقعية في تعاطيها مع الأزمة، ولا تستطيع أن تتحلّل من إملاءات أسيادها ومشغليها.

> تم استبعاد الدول الغارقة لأذنيها في سفك دم أبناء شعبنا العربي السوري، مثل السعودية وقطر ومن وراءهما في الغرب الأوروبي والأميركي.

على

•د. منى إلياس

قال أبو بكر الهذلي:

ولقد سَرَيْتُ على الظلام بمِغْشَم
جلْدٍ من الفتيانَ غيرَ مُهبَّل

على: حرف جر ومعناه استعلاء الشيء تقول: هذا على ظهر الجبل و على رأسه . وممّا جرى مجرى المثل قولهم: مررت على فلان . وتأتي (على) بمعنى (في) و شاهده قول الشاعر الذي بدأنا به : و لقد سريت على الظلام .

ومما يخطؤونه بعض التعابير كقولك : (من على المنابر) ، فزعموا أن هذا الاسلوب في التعبير خاطىء ، إذ كيف يدخل حرف الجر (من) على حرف الجر (على) ، ومن مقتضيات حروف الجر ألاّ تدخل إلاّ على الأسماء. وقد ردّ على ذلك سيبويه نفسه فقال : إن (على) تاتي على الحرفية ، ثم تأتي على الإسمية ، و لاتكون إلاّ ظرفاً كقول العرب : نهض من عليه ، أي من فوقه ،

ومنه قول الشاعر مزاحم العقيلي (وهو إسلامي):

غدَت من عليه بعدما تمَّ ظمْؤُها
تَصِلُّ وعن قَيْضٍ ببيداء مَجَهْلِ

الشاهد في هذا البيت : ورود (من) قبل (على) التي هي بمعنى(فوْق) . جاء في اللسان معنَى هذا البيت: غَدَت من عنده و قد أخذ مجمع اللغة العربية في القاهرة بحجة سيبويه فيما ذهب إليه من جواز حرفية (على) و إسميتها ، و أقرَّ بصحة هذا الأسلوب من اساليب التعبير.

أما قوله في الحديث الشريف :فإذا انقطع مَن عليها رجع إليه الإيمان أي من فوقها ، و قيل : من عندها . كما يقال : رميتُ على القوس و رميْت عنها ولايقال: رميت بها . ويستعمل (على) في الأفعال الشاقة المستنقلة فنقول : سرْنا عَشْراً و بقيت علينا ليلتان ، وقد صُمنا عشرين من الشهر و بقيت علينا عشرٌ . كما يقولون : هذا لك وهذا عليك ، فتستعمل اللام فيما تُؤثره و على فيما تكرهه قالت الخنساء:

سأحمل نفسي على آلة
فإما عليها و إما لها

و (عليكَ) : من أسماء الفعل المُغْرى به . جاء في الحديث : عليكم بكذا أي افعلوه و هو اسم للفعل بمعنى خذ . تقول : عليك زيداً ، فزيد منصوب بعليك التي هي اسم لفعل متعدٍ بمعنى خذ . وتاتي (على) بمعنى(مع) في قوله تعالى: (على رجل منكم). جاء في التفسير : مع رجل منكم كما تقول : جاءني الخير على وجهك ومع وجهك. وتأتي بمعنى (عن) كقوله تعالى: (إذا اكتالوا على الناس يَسْتَوْفون) معناه : إذا اكتالوا عنهم. فـ (على) لفظة مشتركة للإسم و الفعل و الحرف، فنقول : على زيدٍ ثوبٌ، فهي هنا حرف ، و عَلاَ زيداً ثوب و (علا) هذه فعل مَن علا يَعْلو قال طرفة:

و تساقى القومُ كأساً مرّةً
وعلا الخيلَ دماءً كالشَّعرْ

وتأتي اسماً فيدخل عليها حرف الجر كقول ابن الطَّثَريّة:

غدت منْ عليه تنفُضُ الطلَّ بعدَما
رأت حاجبَ الشمس استوى فترفَّعَا

"قائد الأوركسترا"!

•د.خلف الجراد

وصل إلى برلين في 31 من شهرآب عام 1994،ليشارك المستشار الألماني هلموت كول الاحتفال الرمزي بخروج القوات الروسية من ألمانيا،التي انتصرت على هتلر وجيشه الجبار في عام 1945، مكتسحة نصف قارة أوروبا التي كانت آنذاك بأيدي النازية الألمانية. لكن "بطلنا» السكير المدمن بدأ يتناول مشروباته الكحولية المفضلة من الصباح الباكر«محتفياً» بهذه المناسبة وغيرمنتظر بدء مراسم الاحتفال الرسمي في منتصف النهار.

لقد شعر الجنرال كور جاكوف رئيس دائرة الأمن الرئاسي بالخطروالكارثة- الفضيحة التي ستحل لا محالة، نتيجة إفراط رئيسه بالشراب.نظر إلى كول محرجاً ومترجياً، وتفهم المستشار الألماني بسرعة طلب الجنرال دون كلام.

«الجميع انتظر بدء مراسم الاحتفال،لكن "ضيف الشرف الكبير" أصبح يتمايل ذات اليمين وذات الشمال، و"يرقص دون دف" كما يقال.

وضع كول يده حول جسم "الزعيم المترنح"، الذي يكاد يفقد توازنه ويقع أرضاً، وساعده أمام الملأ في السيرباتجاه منصة الاحتفال.

في أثناء تناول طعام الغداء الاحتفالي، قام "الضيف الكبير" بصب كمية إضافية من المشروب الكحولي في معدته الفائضة به أصلاً، الأمر الذي أفقده السيطرة نهائياً على حركته وتصرفاته. نزل على إثر ذلك من منصة الاحتفال واتجه نحو القوات العسكرية التي كانت تستعد للعرض، ومشى أمامها حتى وصل إلى مكان وقوف فرقة موسيقا الجيش الألماني،حيث قام بطرد قائد "الأوركسترا" من مكانه، وأخذ منه المؤشر، وبدأ بقيادة الفرقة الموسيقية بشكل عشوائي "سوريالي"،ما أدى إلى حصول فوضى مفاجئة لم تشهد لها الفرقة مثيلاً طوال وجودها..فبادر الجنود الموسيقيون المصدومون إلى التوقف عن العزف نهائياً عندما تأكدوا أن "الزعيم الزائر" تعتعه السكر ولا ينبغي عليهم مجاراته أو مجاملته.

لقد بدأ رئيس روسيا، التي كان اسمها وحده يهز الغرب والعالم بحالة مخجلة ومخزية لنفسه ولكرامة أمته العريقة، ولم يشاهد سكان برلين شيئاً مشابهاً لهذا التصرف الأحمق طوال حياتهم. ونقلت كل محطات التلفزة العالمية وعلى الهواء مباشرة تحركات "قائد الأوركسترا الجديد" المخمور وهو يتأرجح على المنصة حاملاً بيده عصا قيادة الفرقة الموسيقية، واضعاً بهذا السلوك المشين نهاية رمزية مؤلمة لوجود جيش بلاده المنتصر على الأرض الألمانية، التي رويت بدماء مئات الألوف من الروس والسوفييت في مواجهة النازية الهتلرية المعادية للشعوب والحضارة والإنسانية.

وتكررت معه الفصول والقصص المماثلة في زياراته للولايات المتحدة وإيرلندا وغيرهما،ناهيك عما كان يحدث معه من طرائف أو أشياء غريبة شاذة في أثناء حملاته الانتخابية في المقاطعات والمدن الروسية والمصانع والمناجم والمزارع، التي كان منظمو "الحملات" يجرجرونه إليها للدعاية وممارسة الألاعيب البهلوانية، ومحاولة استغفال الرأي العام، الذي ملّ يلتسين وعصابته القذرة الإجرامية.

في مذكراته يقول بيل كلينتون : إنه تلقى رسالة مميزة من 7 صفحات من الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون قبل شهر من وفاته (وفاة نيكسون) يعبر فيها عن قلقه على وضع يلتسين السياسي وبروز نزعة العداء لأمريكا في "الدوما" (البرلمان الروسي)، ويحث كلينتون على إبقاء علاقته قوية مع يلتسين،والبحث في موازاة ذلك عن "ديمقراطيين آخرين في روسيا"،وعلى إبقاء«الفرقاء السيئين» : جيرنوفسكي وروتسكوي،والشيوعيين- منقسمين،وضرورة دفع«الفرقاء الجيدين» : تشيرنوميردين، يافلنسكي، شاخراي، وترافكين، للائتلاف في جبهة موحدة من أجل الإصلاح المسؤول"، وأخيراً أوصاه نيكسون بعدم نشر دولارات الدعم الموجهة على كل دول الاتحاد السوفييتي السابق، بل أن يركز الدعم بعد روسيا (طبعاً في ظل يلتسين ومجموعته) على أوكرانيا : «التي لا غنى عنها أبداً».

هل عرفتم الآن ماهي المواصفات التي تشترطها أمريكا والغرب بالرئيس الروسي "المرضي عنه"، والذي تدفقت عليه عشرات مليارات الدولارات مباشرة أوعن طريق "صندوق النقد الدولي"، ولا يهم إذا ما أعيد تهريبها بأسماء جماعة يلتسين وحاشيته الشريكة مع المافيا اليهودية إلى البنوك السويسرية والأمريكية والبريطانية والكاريبية وغيرها، وبقيت ديناً في رقبة الشعب الروسي، الذي أذله وأهانه ودمره "صديق أمريكا والغرب الديمقراطي"،فاقد الوعي والمسؤولية بوريس نيكولايفيتش يلتسين!!.

نقطة على حرف • أ.مالك صقور

الامبريالية هي الامبريالية

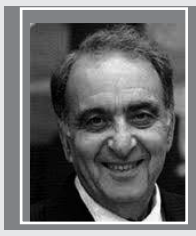

لا يهمني إن نجح الديمقراطيون ولا يعنيني إن سقط الجمهوريون في أميركا الشمالية التي هي: الولايات المتحدة الأميركية، لأنه في يقيني، أن الحزبين وجهان لعملة واحدة، وحين أسمع بعض المحللين (الاستراتيجيين) عن توقعاتهم برحيل رئيس البيت "الأبيض" ومجيء آخر، أحزن لأن أكثر المحللين يعرفون أو لا يعرفون أن استبدال شخص بشخص آخر، ما هو إلا استمرار اللعبة الكرنفالية التي كانت قديماً. والذي قرأ تاريخ الآداب الأجنبية يعرف معنى اللعبة الكرنفالية: وضع التاج، ونزع التاج، والفارق بين هذه الأيام، وأيام الكرنفالات الحقيقية، هو أن الناس، أو الشعب هو من يضع التاج وفي نهاية المهرجان الكرنفالي ينزع التاج. في أميركا، يتوهم المتفرجون والمشاهدون والمستمعون على تمثيلية بين مرشحين، أن "الديمقراطية" هي التي تجري، ويتوهمون أكثر بمجيء (هذه)، أو ذاك، ولا يعرفون أن تصريحات (المُنصّب) حديثاً، ما هو إلا "ممثل" يؤدي أخطر الأدوار، لكن (المخرج)، كما في كل فيلم أو مسلسل، لا يُرى. إن العارفين بخفايا الأمور، يدركون، ويدركون جيداً، أن "سيد البيت الأبيض" الحديث، أو الجديد، أو المنتخب، هو منفذ لأوامر، ولمخططات رُسمت من قبل المخرج الذي يدير الحكومة السرية جداً، في أمريكا وفي العالم أيضاً. وتصريحات، ووعود المرشحين، في أثناء الحملة الانتخابية، وبعد (تسلم "زمام الأمور") ما هي إلا (غيمة في سروال) على حد تعبير، ورأي الشاعر فلاديمير ما يكوفيسكي..

بلى،

هناك حكومة سرية عالمية، تستند، وتستثمر أكثر من مئتي وخمسين مركزاً للبحوث في شتى أنواع البحث والدراسات: العسكرية، السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، والثقافية بما في ذلك "عملاء النفوذ" والجواسيس في كافة أنحاء العالم. وبناءً على الدراسات الكثيرة والأبحاث المتعمقة هذه، يتم اختيار الممثلين للعب الأدوار الكبيرة منها والصغيرة، في أمريكا، وفي العالم أيضاً.

***

في عام 1492، سقطت غرناطة وبلاد الأندلس الجميلة آخر قلعة من قلاع العرب. وفي العام نفسه بالتمام والتحديد، تمّ اكتشاف أمريكا. (فتخيل!!)، فهل لنا أن نتخيل أو نتصور حضارة العرب في عام 1492، وحضارة أمريكا التي اكتشفها المغامر الطموح كولومبوس!!

والتاريخ بين يديك عزيزي القارئ فراجع ما كانت عليه الحضارة العربية في كل مناحي الحياة، وراجع الصفحة السوداء من تاريخ أمريكا، إذ حرقت الهنود الحمر، السكان الأصليين.

انتهت دولة العرب وزالت في الأندلس. لكن العرب تركوا في تلك البلاد آثار عظيمة وأوابد، لا مثيل لها، لا في التاريخ، لا في العالم كله، هذه الأوابد التاريخية والآثار العربية العظيمة لا يبدلها الأسبان، اليوم، بآبار النفط. لأن سيل الذهب الذي يصب في خزانه إسبانيا من جيوب سياح العالم الذين يزورون آثار العرب، يعادل إنتاج آبار نفط بالجملة، وهذا من غير كلفة. في ذاك العام التي زالت فيه دولة العرب، واكتشفت أميركا، لم تكن أميركا شيئاً يذكر في التاريخ العالمي، وبعد أقل من أربعة قرون، وتحديداً في عام 1816، كتب جيفرسون إلى مورنو رسالة عبر فيها عن الذل والهوان والاستغلال الذي يتلقاه الأميركيون من البريطانيين، وقد جاء في هذه الرسالة: (وبريطانيا هي عدو للجنس البشري بأجمله وليس للولايات المتحدة وحدها).

بعد هذه الرسالة بأسابيع قليلة، كتب جون آدامز يقول: "إن بريطانيا تعلم أبناءها احتقارنا وإهانتنا والإساءة إلينا، لن تصبح صديقة لنا حتى نصير سادتها". أمنية جون آدامز تحققت بعد الحرب العالمية الأولى، أما بعد الحرب العالمية الثانية، تسيّدت أمريكا أوروبا والعالم. وأمست الامبريالية التي تبث الذعر والخوف والرعب في أنحاء العالم. والامبريالية هذه تبدل جلدها كل فترة من الفترات، وقد انفردت بالعالم والسيطرة عليه بعد زوال الاتحاد السوفييتي. حين طالعنا الأمريكيون (بالنظام العالمي الجديد) تارة، وتارة (بالعولمة).

عشية غزو أميركا للعراق عام 2003، ألقى الراحل الكبير إدوارد سعيد محاضرة في الجامعة الأمريكية في القاهرة، تحت عنوان مثير "لا تنتظروا ديمقراطية أمريكية".

بدأ إدوارد سعيد حديثه قائلاً: إن موعد محاضرته، يأتي مع بدء الهجوم الأمريكي على العراق، وما يهمه بالفعل، هو مقدار الأذى الذي سيلحق بالشعب العراقي، وأوضح الأسباب الحقيقية لهذه الحرب، فركز على سببين:

الأول: هو التحكم بمصادر النفط، وقال أنه بعد عشر سنوات سوف تحتاج الصين إلى استيراد 75% من حاجتها للنفط، كذلك سوف تحتاج أميركا إلى استيراد 50% من حاجتها أيضاً للنفط.

الثاني: هو سبب استراتيجي لإعادة التحكم بالعالم كقوة وحيدة.

ثم انتقل إدوارد سعيد للحديث عن (حقوق الإنسان)، وعقد مقارنة بين حقوق الإنسان في العراق وفلسطين، وقال لعل الإنسان الفلسطيني هو الإنسان الوحيد الذي لا ينال شيئاً من حقوقه. بينما الإنسان في أماكن أخرى عنده حرية الإرادة والاختيار. وقارن بين (البلدوزرات) الإسرائيلية التي تهدم البيوت الفلسطينية على أصحابها، وبين القنابل الأمريكية على العراق. وأضاف سعيد، إنه لشيء مخزٍ لجميع حكام العالم الذين يتحدثون طوال الوقت عن حقوق الإنسان، وفي الوقت نفسه، لا يبدون أي اهتمام بحقوق الشعب الفلسطيني، ولا توجد دولة واحدة في العالم ترى أن من حقها أن تفعل ما تريد حتى الولايات المتحدة، باستثناء واحد هو إسرائيل، وتابع إدوارد سعيد قائلاً: "لا يجب الانزلاق وراء ما يقال عن صراع الحضارات، فهذه الكتب من تأليف مؤلفين متوسطي الموهبة، ولكنهم نشروها في الوقت المناسب. وقال: يجب أن لا ننسى، أننا قد نخسر معركة، ولكن الحرب نتيجتها سياسية وليست عسكرية دائماً. وقال أيضاً: يجب أن لا ننخدع ببعض مظاهر الديمقراطية الزائفة المزيفة، ومنها مثلاً: عمدة مدينة نيويورك الذي نجح في الانتخابات، صرف مبلغ 60 مليون دولار، فأين هي الديمقراطية؟ وهل يمكن لإنسان عادي أن ينافسه؟ لا أظن".

واستطرد ساخراً من الديمقراطية الأمريكية! إذ قال: التلفزيون الأميركي ليس حراً: لا بسبب الرقابة، وإنما لأنه ممول من جهات لا تسمح إلا لآراء معينة تفرض سياستها وأفكارها.

وفي النهاية، طالب بإقامة دولة فلسطينية واحدة يعيش فيها العرب واليهود، وأن يكون الجميع متساوين في الحقوق والواجبات.

الاستعمار القديم جاء ونهب ثرواتنا بحجة أنه يريد أن يعلمنا ويهذبنا، ويعطينا دروساً في التربية والأخلاق حينها، لم تكن (أمم متحدة) ولا (مجلس الأمن) أما الامبريالية الجديدة فتوّجه الأمم المتحدة ومجلس الأمن، وتدمر البيوت فوق ساكنيها، والأمثلة كثيرة (البلقان، وكارثة كوسوفو وصربيا، وأفغانستان، ليبيا، العراق، اليمن، فلسطين، سورية، والمثير للغيظ والسخرية معاً، هي (النوايا الحسنة) والأخلاقية للسيطرة على العالم، فحين كانت أميركا تقصف فيتنام بكل انواع القنابل، وصف المؤرخ الأمريكي آرثر شليزتغر السياسية الأمريكية في فيتنام بأنها جزء من (برنامجنا العام لحسن النوايا الدولية). وعندما انتهت الحرب تنطح معلق أمريكي في جريدة النيويورك تايمز قائلاً: "سعت أمريكا طول ربع قرن إلى فعل الخير، وتشجيع الحرية السياسية، والنهوض بالعدالة الاجتماعية في العالم الثالث، إلا أننا في أثناء ذلك، تجاوزنا مصادرنا الأخلاقية فسقطنا في النفاق".

جلود الأفاعي ملساء جداً، وربما جميلة بألوانها، لكن في أنيابها السم القاتل، هكذا تبدل الامبريالية جلدها، ووجهها، ورؤسائها، وأدواتها، لكن الامبريالية هي الامبريالية.

رسائل عرعرة

• عبد اللطيف مهنا

مظاهرات عرعرة الجليلية الشمالية في المحتل من فلسطين العام 1948، ليست مجرَّد ردة فعل شعبية غاضبة ضد محتل استعماري غاصب سفك الدم الفلسطيني وهدمت جرَّافاته البيوت الفلسطينية في أم الحيران النقبية الجنوبية، كما ليست بمجرَّد الهبَّة التضامنية معها فحسب. إنها حالة نضالية تعيدنا إلى «يوم الأرض»، الذي ستغشانا ذكراه في موعد لا تزيد أيام انتظارنا له إلا قليلاً عن شهرين، وتُذكِّر الجميع بأن النضال الفلسطيني، هو كما فلسطين، أرضا وإنساناً، كل لا يتجزأ، في كامل فلسطين التاريخية المحتلة مواقع الشتات الفلسطيني خارجها، أي الأمر الذي أكثر من يدركه هو العدو الصهيوني، والمفارقة أن من يتجاهله، أو يريد ذلك، هم التسوويون الفلسطينيون المفرِّطون...خلاصته، أن عرعرة لم تزد على إعادة القول وإسماعه مجدداً للمحتل الغاصب بأننا هنا في وطننا الصامدون الباقون بقاء ترابه، وانتم الغزاة الطارئون الراحلون في نهاية المطاف وطال الوقت أم قصر...لكن المهم، من وجهة نظرنا، هو في كونها قد وجَّهت رسائلها الفلسطينية -الفلسطينية العاجلة في ثلاثة اتجاهات: الأولى، لمن يتصدَّرون الواجهة السياسية الفلسطينية داخل الكيان الصهيوني، وتحديداً، من يضعون أنفسهم في موضع قيادة النضال وحصره بالمطلبي لفلسطينيي المحتل في العام 1948، لانتزاع ما تيسَّر من حقوق، من «دولة ليست لكل مواطنيها»! وموضوعياً، يتحركون كجزء من المنظومة الصهيونية ذاتها للكيان الغاصب...نضال كل مردوده، وما حدث في أم الحيران بعض من براهينه، أنه يتيح لسافكي الدم وهادمي البيوت في أم الحيران وسواها توظيفه دولياً للتغني بلعبة الديموقراطية الصهيونية الفريدة في المنطقة، هذه التي تسمح لحفنة من العرب أن يقفوا تحت سقف الكنيست الصهيوني ليشجبوا ويدينوا إلى ما شاء الله محتليهم، أو يطالبوا ما شاءت لهم المطالبة غير المستجابة بحقوقهم المسلوبة، في حين قد لا يتاح مثله لغيرهم من إخوتهم العرب في غالبية دول الوطن العربي، ناهيك عن أن مثل هذا السماح لم يك ليكون إلا لأنه يُصبغ نوعاً من مسوح الشرعية الاحتلالية، أو التغطية على الجريمة الكبرى المستمرة لقرابة ثلاثة أرباع القرن، التي هي افتعال واستمرار هذا الكيان الاستعماري الاستيطاني الإحلالي في فلسطين العربية على أنقاض شعبها المُنتكَب. بالإضافة إلى دعوتها للعصيان المدني، طالبت مظاهرة عرعرة نواب هذا «الشكل النضالي» تحت قبة الكنيست الصهيوني، أو الذي تقاطع انتخاباته الغالبية من فلسطينيي المحتل العام 1948، بالاستقالة معبَّرةً بهذا عن رفضها له، فأحرجت بذلك رموزه، ففي حين أن جمال زحالقة، النائب عن حزب التجمع الوطني الديموقراطي ورئيسه، عدَّ فكرة الاستقالة مطروحة، لكن بانتظار «نضوج البديل»! وصف النائب محمد بركة عن «الجبهة الديموقراطية للسلام والمساواة»، ورئيس «لجنة المتابعة»، هذه المطالبة الجماهيرية بأنها «تمثل موقفاً غير مسؤول»، مبرراً رفضه لها بالتساؤل: «هل تريدوننا أن نخلي الساحة للأحزاب الصهيونية؟!»، أما النائب أحمد الطيبي عن «الحركة العربية للتغيير»، فمن رافضي مجرَّد طرح الفكرة من الأساس!!! الثانية، هي للسلطة، للأوسلويين الذين تخلوا عن فلسطينيي المحتل العام 1948، عندما اعترفوا بالكيان الصهيوني واعتبروهم بتنازلهم عن 78% من فلسطين «عرب إسرائيل»، ومعه التخلي ضمنا عن قرابة ثلثي الشعب الفلسطيني في الشتات، عندما ساوموا على حق العودة وقبلوا بـ«مبادرة السلام العربية» الصادرة عن القمة العربية في بيروت ورفضها العدو فور صدورها، والتي قايضته «بحل عادل يقبله الطرفان»، وبهذه وتلك فتحوا الباب للصهاينة لطرح «يهودية الدولة» المؤدي لتسهيل مخططات «الترانسفير» متعددة الأوجه والمراحل في نهاية المطاف.

ما حدث في أم الحيران وصداه في عرعرة لم يحرك ساكناً في همود مستنقع أوسلوستان الآسن الضحل. كل هم التسوويين هو: ترى كيف ومتى سيجهز ترامب على اللا مأسوف عليه «حل الدولتين»؟! متجاهلين أن جرَّافات نتنياهو التهويدية قد دفنته منذ أمد، وتواصل إهالة التراب عليه يومياً...اختصرت القضية برمتها عندهم في مسألة نقل السفارة الأميركية رسمياً إلى القدس، وكأنما كل المستعمرات في الضفة، بل وكامل فلسطين، ليست سفارات أميركية! ...من المدهش هو الاستماع إلى كل هذا التباري في كيل الوعيد بالويل والثبور، والتهديدات غير القابلة اوسلوستانياً للصرف، هذه التي انطلقت من رام الله، منذرةً بأن السفارة لو نُقلت فلسوف تستل من جراب النسيان كل قرارات المجلس المركزي المهملة وتشهر دفعةً واحدةً في وجه ترامب ونتنياهو ومعهما المانحين أيضاً...وما هى ؟ إعادة النظر في التبعية الاقتصادية للاحتلال، ووقف التعاون الأمني «المقدَّس» معه، وسحب الاعتراف بالكيان الصهيوني، وإعلان الانتقال من السلطة (البلا سلطة) إلى الدولة البلا أرض...هل تصدِّقونهم ؟؟!! إن هذا يعني ببساطة إلغاء أوسلو ووضع حد لتغريبتها الكريهة، وقطع الأسباب عن شريحة تعتاش على إفكها وارتبطت مصالحها بمصالح المحتلين...وهنا يأتي السؤال المر: إذا كان كل ما ألحقته تغريبتهم التسووية الأوسلوية من أذى للقضية وعذابات للشعب ودمار للوحدة الوطنية، لم تدفعهم لمجرَّد مراجعتها، فهل نقل السفارة سيدفعهم لذلك... على من يضحكون والوثائق الأميركية تفشي تعهدات ابى مازن لهم بأن لا يقدم على واحدة من هذه التهديدات، يضاف إليه، عدم الانضمام لـ16 منظمة دولية، أو تقديم شكوى لمحكمة الجنايات الدولية بشأن التهويد؟! الثالثة، للفصائل، المقاومة، والمعارضة، والمابين بين، تجاوزكم انتفاضة الفدائيين، وها هي عررة تسبقكم إلى دعوة العصيان المدني، بينما أنتم بحضوركم مهزلة تحضيرية بيروت تشرعنون أبي مازن وتحللون له إفك ايفائه بتعهداته للأميركان.

وداعاً عبد العزيز الدروبي

• زبير سلطان

كان أول لقاء لي مع المرحوم الأديب عبد العزيز الدروبي في عام 1976 حين جمعتنا زمالة التدريس في الثانوية الصناعية بدير الزور ، ونمت بيننا صداقة سريعة بسبب ما كان يتحلى به المرحوم من جديّة وإخلاص في العمل ، وحرصه على الدقة في تنفيذ الوعود والمواعيد ، والود والاحترام لزملائه الجدد والقدماء ، ومن سماته التفاعل السريع مع كل من يلتقي من الأدباء والمدرسين والزوار القادمين من داخل القطر وخارجه ، ويوحي إليه كأنه صديق قديم له ، حتى لا يشعر بالحرج والغربة إن كان في حاجة إلى شيء يرغب في طلبه منه .

تنوعت المهام الإدارية التي تولها المرحوم خلال عمله الوظيفي والحزبي ، ومن رئيس قسم لحرفة إلى مدير ثانوية صناعية وأمين شعبة حزبية وعضو قيادة فرع للحزب ومدير فرع للتجزئة ، وختم عمله الوظيفي مديراً لفرع للخزن والتبريد ، كما تولى رئاسة هيئة فرع اتحاد الكتاب العرب في دير الزور لمدة عشر سنوات من عام 2005 – 2015 . وكان في كل مهمة يقوم بها يعطيها حقها ، ويضيف إليها شخصيته وسماته عليها ، وكان ناجحاً في عمله رغم العديد من الصعوبات التي كانت تواجهه بسبب أخلاقه وجديته في العمل ، والتعاون مع رؤسائه ومرؤوسيه بالحب والاحترام .

أحب كثيراً الرحلات والتنقل بين بلدان العالم ، فكان لا يضيع أية فرصة تتاح إليه في زيارة أية بلد في العالم ، وحين كان مديراً للثانوية الصناعية في الحسكة ، ظهرت فرصة له في استكمال دراسته الحرفية في الاتحاد السوفيتي ، ترك الإدارة والتحق بالبعثة فسافر إلى الاتحاد السوفيتي ، وهناك أكمل دراسته العلمية في المجال الصناعي . وخلال وجوده هناك أقام العشرات من الصداقات مع الروس والعرب المتواجدين في روسيا ، وأتقن اللغة الروسية بشكل جيد ، وتزوج من فتاة روسية ، وأنجبت له ولداً ، ثم عاد إلى سورية بعد أن حصل على الدبلوم الصناعي ، وقام بالتدريس في الثانوية الصناعية .

ومن الرحلات التي قام بها ؛ كانت رحلته إلى الصين ضمن وفد شكله اتحاد الكتاب العرب برئاسة الأديب عبد الكريم ناصيف ، وحين عاد من تلك الرحلة حدثنا كثيراً عن معالم الصين التاريخية والثقافية والعلمية ، والعادات والتقاليد في هذا البلد العظيم ، وعن عمق الصداقة التي تربط الشعبين الصيني والسوري ، والاحترام التي يكنه الشعب الصيني لسورية وشعبها ، وعن زياراته لمدنها ولسورها العظيم الذي يعتبر من عجائب الدنيا . كما قام بزيارة القاهرة بدعوة من الجالية الأرمنية في القاهرة ، وشارك في الندوات التي أقمتها الجمعية عن المذابح التي تعرض لها الأرمن على يد الأتراك ، وحدثهم عن نخوة أهل الفرات في نصرة الأرمن خلال السوقيات التي أوصلتهم إلى دير الزور ، وكيف هبّ جميع أبناء الفرات مدينة وريف لحماية الأرمن ، واحتضانهم والدفاع عنهم ضد المستعمر التركي .

وكانت رحلته الأخيرة عام 2015 إلى الولايات المتحدة لرؤية ابنته فيها ، وعانى مدة عامين متتاليتين حتى حصل على إذن الدخول من السفارة الأمريكية في بيروت على الرغم من مرضه الذي بدأ يعيق حركته النشيطة المشهودة عنه . وسافر إلى الولايات المتحدة وأمضى فيها عدة أشهر ، وكان فرحاً بلقاء ابنته التي غابت عنه سنوات ، وأرسل رسائل تضمنت إعجابه عن مركزها السياحية والتطور الحضاري فيها ، ثم عاد فجأة من الولايات المتحدة إلى تركيا حيث يعيش بعض أولاده فيها ، وكأنه أحس بدنو الأجل ، واشتداد المرض في جسده ، وفعلاً بعد أشهر قليلة نقل إلى المستشفى وكان في حالة حرجة ، فلم يلبث فيها إلا أيام حتى قضى نحبه فيها ، وانتقل إلى ربّه يوم الخميس 27/ 1/ 2017 .

كان عبد العزيز الدروبي إلى جانب مهارته في الصناعة والإدارة ؛ كان أديباً وقاصاً اجتماعياً متميزاً ، فقد دخل إلى عالم الأدب متأخراً بعد تقاعده ، ففي عام 1997 تقدم إلى مسابقة الأديب سعد صائب الأدبية في الشعر والقصة القصيرة ، التي كانت تقيمها أسرة صائب كل عام بالتشارك مع مديرية الثقافة بدير الزور ، ففاز بالجائزة الأولى للقصة التي كنت بعنوان (قروش الجدّة) ، مما دفعه أن يدخل عالم القصة القصيرة ، وخاصة أنه يمتلك ذخيرة جيدة من القص الشعبي والاجتماعي والتراثي ، إلى جانب لغته العربية الجيدة ، فأنتج الكثير من القصص خلال مسيرته الأدبية حتى وفاته رحمه الله تعالى . فأصدر أربع مجموعات قصصية هي : حافلة آخر الليل - تعرجات خطرة - الانتظار الصعب – ورقة روزنامة .

تميزت قصص الأديب الراحل بالمزج ما بين الواقعية والرومانسية والكلاسيكية ، كما حاكى الذاكرة التاريخية الاجتماعية والتراث الشعبي في قصصه ، مما أعطاها حالة من التميز ، وخلدها في ذاكرة الأجيال الفراتية والعربية ، لتداخلها وتمازجها مع الذاكرة الشعبية السورية ، فتعطي تراثاً شعبياً خالداً لقطرنا السوري .

رحم الله عز وجل الأديب عبد العزيز الدروبي ، واسكنه فسيح جنانه ، فقد ترك أثراً طيباً في وده وحبه لبلده وشعبه ولزملائه .

ثقب الضمير

• هنادة الحصري

يقول أحدهم: إن أزمة المجتمع المعاصر لا تكمن في ثقب الأوزون الذي أصاب الغلاف الجوي، وإنما في ذلك الثقب الذي أصاب الضمير البشري.

هل نختلف بأن أزمة الضمير هي أزمة تتزايد يوما بعد الآخر وكل ما يتم هو إخماد صوت هذا الضمير القلق حيث اختلفت الأخلاق وتغيرت بما يتماشى مع معطيات العصر، فانعكست الرؤى وانعدمت الثوابت وباتت كلمة الإنسانية فارغة من مضمونها، على هذا فالضمير هو قدرة الإنسان على التمييز بين الأمور التي تجري على الواقع وقيمه الأخلاقية... فإذا تعارضت وقيمه الأخلاقية فإما أن يرضخ أو أن يتصدى..

قليلون من تصدوا للاختيارات الواقعية يستحسنون الصالح وينكرون السيئ وبذلك تمكنوا من سماع صوت الله في أعماقهم و تحقيق إنسانيتهم ، من بينهم الفيلسوف والناشط السياسي وعالم اللسانيات نعوم تشومسكي المفكر اليهودي الأمريكي المولود في عام 1928 الذي يشتهر بنشاطه الفكري ومعارضته للسياسة الخارجية الأمريكية، فضلاً عن انتقاده للاحتلال الإسرائيلي.

في معرض حديثه لإحدى الصحف البريطانية يرى تشومسكي أن الخطر الحقيقي الذي يواجه المنطقة يكمن في الولايات المتحدة و إسرائيل، وأن الثورات العربية جاءت صدمة للقوى الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة لأن هذا سيكون أول التحرك تجاه استقلالية القرار في منطقة الشرق الأوسط وهذا يمثل تهديداً خطيراً لها، و في إجابة على سؤال عما إذا كانت إسرائيل ستبقى دولة خلال الخمسين عاما القادمة قال تشومسكي اليهودي المتهم بمعاداة السامية: «إن إسرائيل تنتهج سياسات من شأنها أن تزيد المخاطر الأمنية المحدقة بها إلى أقصى حد، فهي تختار سياسة التوسع على الأمن، وتقود إلى انحطاطها الأخلاقي وعزلتها و نزع الشرعية عنها كما يقولون اليوم، الأمر الذي سيؤدي -على الأرجح- إلى دمارها في نهاية المطاف وهذا ليس بالشيء المستحيل».

وتطرق تشومسكي إلى الآمال الكبيرة التي كانت معقودة على أوباما عندما انتخب رئيسا للولايات المتحدة لأول مرة، أو خاصة بعد حديثه عن الشرق الأوسط، أنها لم تكن سوى أوهام. وأن خطابه عن الأمل والتغيير لم يكن له أي معنى البتة وأن تداعي القوة الأمريكية في العالم مستمر.

انظروا إلى هذا الرد الرائع لإنسان يحاول أن يسلط الضوء باتجاه حلول تفتح أبواباً كبيرة للعرب. سأله أحد الصحفيين لماذا تدعم أميركا إسرائيل رغم أن مصالحها في العالمين العربي والإسلامي كبيرة قال: «لن يكون هناك تحول جدي أمريكي بالنسبة إلى إسرائيل إلا بوجود ضغط عربي وإسلامي على أميركا، ولا أعني بذلك شن الحرب عليها، بل فتح حوار من نوع جديد قائم على المصالح والندية والتبادلية، وأن ينتقل العرب من موقع المانح بالمجان إلى الإفادة والاستفادة، وهنا تستقيم المعادلة، وتعلم أمريكا أن الشرق الأوسط ليس صحراء قاحلة نفطية تجوبها الإبل بل هناك شعوب وحكام وأعين تراقب الأداء الأميركي.

لدى العرب الكثير من الأسلحة و في مقدمها النفط، وهما سلاحان في سلاح واحد، سلاح الضغط على أمريكا والغرب عموما وسلاح التنمية، وبدوري فإنني أنبه العرب إلى أنه في حال عدم صحوتهم واستغلال هذا السلاح فإنهم سيجدون أنفسهم خارج دائرة الفعل، وفي حال تحول العرب عما هم عليه من طيبة زائدة على الحد من اتصالهم بالساحة الأميركية، من خلال شعاراتهم وأصدقائهم والمفاتيح المهمة في الميادين كافة فإنهم سيبثون موجات من الوعي والأسئلة في أمريكا.

السؤال الآن هل ينصت العرب لهؤلاء المفكرين وهم يشيرون للخطر وهل هناك آذان تسمع أم إن همها فقط الحفاظ على الكرسي.. متناسين أن أمريكا هي الدولة الوحيدة التي لها آلاف القواعد العسكرية في خليجهم والشرق الأوسط و في مناطق كثيرة.

بقي أن نقول إن تشومسكي اتهم بمعاداته للسامية لأنه دافع عن حق أستاذ جامعي فرنسي في حرية التعبير، كان يتبنى وجهة نظر مماثلة قبل 35 عاما وما فتئ تشومسكي يجادل بلا هوادة عن حقوق الفلسطينيين.

الآن السؤال إلى أين تتجه الأخلاق في عصر المتغيرات هل ستتجه إلى التلاشي أم إن الضمير كقوة لابد سيتحرك ؟

حجر الزاوية..!

د. حسن حميد

وددت، منذ وقت بعيد، أن أبين للأجيال الطالعة الرافدة لمدونة الأدب، وعبر أجناسها المتعددة، أنه ليس بمقدور أحد من الأدباء والكتّاب، مهما بلغ من الرتبة والمكانة والمعروفية والشهرة أن يدخل عالم الأدب ويغلق الباب وراءه! أبداً، هذا أمر محال، لأن عالم الأدب عالم رحيب، يشبه عالم السماء في سعته وامتداداته وعلوه وأسراره أيضاً.

وللتوضيح أشير إلى أن أهم البقاع الجغرافية العربية المعروفة بأنها هي حواضر الثقافة وجهاتها، وهي المنتجة للمدونات الأدبية تاريخياً، كانت الأجيال الأدبية فيها متعايشة، وبعضها يأخذ بيد بعض، وبعضها يزاحم بعضها الآخر، وبعضها يستعدي بعضها الآخر، بعضها يحيّد، وبعضها يقصي، وبعضها يذم ويشطب، وقد لعبت بها (أي الأجيال) التيارات السياسية مرة، والصحف والمجلات مرة، والنقاد مرة أخرى، وهذا ما كان سبباً لحالات إرباك كثيرة في المشاهد الثقافية العربية التي عنيتها، وأقصد القاهرة، وبيروت، ودمشق، وبغداد، وهذا ما سبب عداوات غير عادية وصلت إلى أشواط من الكراهية والاصطفاف المؤذيين، ولم يكن ذلك بسبب التيارات السياسية التي يكفر بعضها بعضها الأخر فحسب، وإنما بسبب أمزجة بعض الأدباء، وبعض القائمين على شؤون النشر (صحافة وطباعة)، وبعض النقاد أيضاً، وقد أثرّ هذا كله في أمزجة القراء واصطفافاتهم وراء الأدباء وأجناس الأدب أيضاً، وبذلك ضاعت مجسات التقييم، وتبددت صوابيتها، الأمر الذي جعل شاعراً أو سارداً لا يعرف سوى العتبات من أشواق الكتابة شاعراً مهماً ومشهوراً أو سارداً عظيماً يتحدث عنه الناس، وكلاهما غير جدير بهذه المعروفية والشهرة، والسبب في ذلك أن تياراً حزبياً ما أشاد به، وكرز له، وأن نقاداً من الصنف واللون نفسيهما كرزوا له وأشادوا به، لا بل صنعوا نقداً خاصا به يناسب بهوته وضمور نصوصه، وأن صحفاً ومجلات فتحت صدر صفحاتها لما يكتبه من نصوص مصابة بالاستسقاء.

كل هذا بات معروفاً في حواضر الثقافة العربية: دمشق، والقاهرة، وبغداد، وبيروت. والأهم هو أن الأجيال الأدبية لم تعرف الخوف من الأسماء الكبيرة، الحقيقة منها والمزيفة، فبدأت بالكتابة قرزمةً هنا وهناك، ومع المثابرة، والجهد، والشغف الأدبي صارت كبيرة، ومعروفة، ومهابة! تصوروا أن شاعراً من الصعيد اسمه عبد الرحمن الأبنودي يأتي إلى القاهرة، ويقول عن نفسه توصيفاً بأنه شاعر في ظل وجود صلاح جاهين، وكامل الشناوي، واحمد رامي، وصالح جودت، وفؤاد حداد، ولكنه بالتعب الجميل أصبح أهم شاعر في مصر.

خذوا الأديبة غادة السمان التي أعلنت عن نفسها كاتبة في سورية في ظل وجود أدباء مثل فؤاد الشايب، وحسيب كيالي، وسعيد حورانية، وياسين رفاعية، ونصر الدين البحرة، واسكندر لوقا، وشكيب الجابري، وقد غدت من أهم الكاتبات في الوطن العربي بالرهان على الموهبة الكبيرة، واستيعاب تجارب الآخرين.

خذوا كاتباً مثل د. يوسف إدريس، والجرأة التي تحلّى بها طوال حياته، حين كتب قصصاً محتشدة باللهجة العالمية ثم أهداها لعميد الأدب العربي د. طه حسين حارس اللغة ليس لقراءتها فحسب وإنما لتقديمها وتقريظها أيضاً. في مصر آنذاك كان محمود تيمور، وأمين يوسف غراب، ويوسف السباعي، وسعد الدين وهبة، وثروت أباظة.. ويعقوب الشاروني.. وكل هؤلاء، وهم أصحاب مهابة وحضور، لم يخيفوا يوسف إدريس الذي أخذته الجرأة الأدبية، وكرمى للأدب، فتخلى عن عالم الطب الذي نذر نفسه له.

خذوا كاتباً مثل رشاد أبو شاور الذي أعلن عن نفسه كاتباً، وهو في طرواوة العمر، هنا في دمشق، وفي ظل حضور عمالقة القصة القصيرة في سورية، وفلسطين، فلم يخشَ أحداً أو يخف من أحد، بل تقدم إليهم وعدهم أباء، وإخوة كباراً.. فجاور نصه نصوصهم، في زمن حضور جبرا إبراهيم جبرا، وغسان كنفاني، وسميرة عزام، وأميل حبيبي، ويوسف جاد الحق.

وللنظر إلى تجربة الشاعر الفلسطيني احمد دحبور الذي عاش في مخيم الفلسطينيين في حمص، الذي جهر بقصيدته، وهو ابن سبعة عشر عاماً، في ظل وجود شعراء كبار من أبناء مدينة حمص أمثال وصفي القرنفلي، وعبد السلام عيون السود، وموريس قبق، وعبد الكريم الناعم، وممدوح سكاف، وعبد الرحيم الحصني، وشعراء سورية الكبار أمثال نزار قباني، وفايز خضور، وعلي الجندي، وممدوح عدوان، وعلي كنعان، وأحمد الجندي، ونزيه أبو عفش.. وفي ظل وجود شعراء كبار من الفلسطينيين الذين عاشوا ويعيشون في سورية مثل عبد الكريم الكرمي- أبو سلمى، ويوسف الخطيب، وخالد أبو خالد، وفواز عيد، وخليل عيلبوني.

كل هؤلاء. من أصحاب التجارب الأدبية الطالعة تهيبوا أصحاب التجارب الأدبية الكبيرة، ولم يخشوهم لأنهم بمواهبهم وثقافاتهم استطاعوا أن يحفروا دروبهم الإبداعية بالسهر المضيء، والروح العاشقة للأدب، والنفوس الكبار التي تحملت كل أشكال الأذى والكف والغمط والتغييب لكي تبدو!

كل هؤلاء الذين كانوا طالعين في البدايات، وصاروا منارات، عرفوا القصة الرابطة ما بين النبات والضوء، كانوا هم النبات، وكانت مواهبهم هي الضوء، وبالتعاون، والتآخي، والتوءمة، والإخلاص للإبداع، والأشواق للخيال، والتطلع إلى المشي في ظلال القضايا الكبرى.. استطاعوا أن يصيروا اليوم بيارق الأدب وقراه وجهاته الضوئية!

وأمر كهذا، أعني السير الجيلية في الأدب، وفي غير الأدب كالاقتصاد، والاجتماع، والسياسة، وفي الفنون أيضاً، لم يكن وقفاً على المشهد الثقافي العربي وحده، وإنما هو من الأمور الشاملة لكل بقاع الدنيا، فمن كان يظن نفسه قادراً على مزاحمة كاتب مثل بوشكين في روسيا؟! لكن بعد بوشكين رأينا قمماً أدبية محيرة في جمالها، مربكة في اشتقاقاتها، زينة فيما أعطته أمثال تشيخوف، وتورغنيف، وتولستوي، وغوغول، ودوستويفسكي، وإيفان بونين، وايتماتوف، وفالنتين راسبوتين، وباسترناك.

والأمر هو كذلك في المشاهد الأدبية في ألمانيا الذي كان فيها غوته غولاً أدبية، وفي بلاد الانكليز وفيها أسماء أدبية مخفية بجمالها النادر، وفي بلاد الغال من فلوبير، وبلزاك، وهيغو، ومارسيل بروست، وجورج صاند، وبودلير، ورامبو، ومالاريميه، وراسين، وزولا، وأناتول فرانس.. وصولاً إلى الأجيال الحالية، ومنهم من فاز بجائزة نوبل مثل لوكليزيو، وفي البلاد الأمريكية الأمر نفسه، وكذلك في إيطاليا، وأسبانيا، والبرتغال، ودول أمريكا اللاتينية، والصين، والهند..

إذاً، ليس هناك من مبرر للقول بأن المتقدمين في الكتابة الأدبية، والحضور الثقافي يغلقون المنافذ ويسدونها في وجه أصحاب التجارب الأدبية الطالعة، لأنه من المؤكد أن يتجاوز الطالعُ اليوم المعروفَ والمشهورَ في الأمس.

ولكن لابدّ من إدراك حقيقة مهمة، وهذه تمدنا بها سير هؤلاء الأدباء الكبار، أن جميع أهل المعروفية والشهرة في الأدب والفنون بصفة خاصة، عانوا الكثير الكثير حتى أصبحوا نجوماً ومنارات هادية جاذبة لعشاق الأدب، بل إن بعضهم مات ولم يعرف طعم السعادة الأدبية بسبب الحسّاد، وأيدي الكفّ الرجيمة، ولهذا لابدّ من أمرين اثنين، أولهما أوجزه بالقول: لابد من قراءة المنتوج الأدبي لهؤلاء الكبار لمعرفة أسرار النصوص، وأسباب اقترانها بالشهرة والجمال والحضور الخالد، وثانيهما أوجزه بالقول أيضاً: لابدّ من قراءة سير هؤلاء الأدباء لمعرفة الطرق التي سدّت بوجوههم، والطرق التي فتحت أمامهم، أو التي فتحوها هم، ومن بعد الوقوف على العقبات والصعوبات التي واجهتهم.

بهذا.. ومع وجود الموهبة ووعيها، وإيفائها حقها ريّاً بالإبداع الجميل قراءة وتحليلاً وشغفا، والكتابة بحرص نساجات خيوط الذهب والحرير.. سيغدوا الكتّاب الطالعون.. هم حجر الزاوية الذي لن يستطيع البناؤون زلّه!

Hasanhamid55@yahoo.com

علمتني الشام حب الصباح

• د. عبد الحسين شعبان

(1)

إذا كان أندريه بارو عالم الآثار الفرنسي وأول مدير لمتحف اللوفر، هو القائل: «لكلّ إنسان متحضّر وطنان، وطنه الأم وسورية»، فماذا سيقول عربي وسوراقي، عاش فترة من أجمل أيام حياته في دمشق؟ وهو المنتمي إليها وطناً ولغةً وهويّةً وعشقاً. أظنّه سيقتفي مثلي أثر محمود درويش القائل: دمشق ارتدتني يداك / دمشق ارتديتُ يديك.

كنتُ قد قلتُ في مقابلة لي مع مجلّة تحولات: أن هوّيتي سوراقية مشرقية، فبلاد الرافدين وبلاد الشام تجمعهما هوّية حضارية واحدة. ولكن لماذا أنا سوراقي؟ أجيب: «لأنني لا أستطيع وأنا العراقي إلاّ أن أفكر بطريقة أقرب إلى سورية أو قلْ إلى الشام»، وذلك لشعوري بوحدة الانتماء ووحدة المصير. وكلما اقتربتُ من دمشق لا أستطيع إلاّ أن أفكّر ببغداد، فهما شقّان يكمّل بعضهما بعضاً. وأحياناً أقع في حيرة من أمري حين لا أستطيع أن أفاضل بينهما، وأقنع نفسي حين أتخيّلهما كما لو أنهما كالذهب المشعشع في الميزان كفّتان، أو لكأنهما جناحا طير لا يمكنه الطيران إلاّ بهما معاً، فإن غاب أحدهما سقط أرضاً لا محال. والحق أقول بأني أحيا في حالة من التماهي في كيانيتي وعقلي بينما هو سوري وما هو عراقي.

هذه القناعة تولّدت لديّ منذ عقود من الزمان، وأخذت تترسّخ يوماً بعد يوم على نحو تلقائي وعفوي، غير متكلّف أو مُفتعل. ربما لعب مزاجي العروبي دوراً في ذلك، على الرغم من يساريتي وانتمائي «الماركسي»، وقد يكون ذلك «انشقاقاً» مبكراً بين الثقافي الذي يقبع في داخلي، وبين السياسي الذي انضوينا تحت لوائه.

لكنني لا أكتفي بالمزاج وحده وبالعاطفة بمفردها، وإنْ كان لكلّ إنسان عاطفة، وينبغي أن يوليها اهتماماً ولا يستخفّ بها، لأن العاطفة لصيقة بالإنسان مثل الإحساس والشعور. وقلت وأنا أصف نفسي إنني حسّي، بمعنى أني فيورباخي، باستعارة نظريته في المعرفة التي اعتمد فيها على التجريبية والحسّية، ويستدخل فيورباخ الرغبة أو العاطفة إلى جانب الحسّ، فالرأس مصدر النشاط والقلب مصدر العاطفة. وحسب فيورباخ: فالأذن هي التي توصل إليك أولى الأحاسيس والإشارات، ومنها تنتقل إلى الدماغ، ومنه تتحوّل إلى فعل إرادي بمرورها على القلب أيضاً. هكذا إذن، وضمن هذا التوصيف المجازي فأنا حسّي بامتياز، وأشعر أن إحساسي مجزّءٌ بين العراق وسورية، وبين بغداد والشام، ولم يكن ذلك اعتباطاً، وإنما هو شعور بالمشتركات والمتداخلات والمتفاعلات والمتلاقحات ما بين بلاد الشام وأرض الرافدين، أكانا في جانبيهما العربي أم في جانبيهما الكردي. وكأن لسان حالي يؤكد قول الشاعرة العراقية عاتكة الخزرجي: «أهوى دمشق هواي / بغداد الحبيبة لو أفيها».

(2)

كنت قد كتبت في وصيّتي في تسعينات القرن الماضي: إذا داهمني ذلك «الذئب الذي ظل يترصّدني»، مثل قدر غاشم، فانقلوني إلى النجف، وإنْ تعذّر ذلك، فدمشق هي المكان المناسب، وكدتُ أقول القدس، لكنها ما تزال محتلّة من الصهاينة، ولأن القدس شقيقة دمشق، أصل بلاد الشام وروحها وعقلها، فإن العراق وسورية يؤلفان «سوراقيا»، جوهرة العرب، وإذا كان العراق جمجمة العرب، كما أطلق عليه عمر بن الخطاب، فالشام قلبها ومصر جناحيها.

لم أعرف أن والدتي الراحلة نجاة شعبان والتي افتقدتُ رؤيتها لنحو 20 عاماً، ستستطيع أن تلتحق بي، وفي دمشق بالذات، حيث انتظرتُ مثل غيرها من العراقيين الذين كانت وجهتهم الأولى دمشق، ولكنه عندما حان موعد رحيلها، لم تختر غير الشام، وخاطبتني عشية وفاتها قائلة: «ادفنوني» قرب مقام السيّدة زينب إنْ استطعتم. تلك هي وصيتي الوحيدة... ونزولاً عند رغبتها كان لها ما أرادت، حتى إننا أقمنا الفاتحة على روحها بدمشق في منطقة المزّة، وفي «دار السعادة»!.

لم تكن والدتي تعرف بوصيتي المكتوبة، أنني وضعت الشام في أولوياتي، إلاّ أنه إحساس الأم قلّما يخطىء، لا سيّما إذا كان الأمر يتعلّق بولدها. قلت مع نفسي كيف استطاعت أن تخمّن رغبتي؟ ولم أكن أجرؤ أن أتحدث أمامها، عن ذلك «الجهم» الذي يجلس على صدورنا، وكأنه حرسٌ على أنفاسنا حسب تعبير الجواهري، لكن دهشتي سرعان ما تبدّدت، فكيف لا وهي تعيش في قلبي وتتحسّس ما لديّ كل يوم، بل كل ساعة وكل لحظة، فكيف لا تقرأ عشقي لدمشق عيشاً أو رحيلاً، فالشام هي الملاذ الأوّل وربّما هي الملاذ والمستقر الأخير.

منذ مطلع الستينات كانت الشام قبلتنا. كان والدي مولعاً بها لدرجة الهيمان، فهي أكثر من مدينة بالنسبة له، لأنها بوابة الشرق إلى العالم، وهي التاريخ المزدان بقصص وحكايا وبطولات ومآسي. إنها أبلغ من صُوَر اللغة. وعلى الرغم من زيارته لبعض البلدان العربية، ولبراغ وبرلين ووارشو، إلاّ أن عشقه للشام وللقدس ورام الله، ظلّ مثل حبّه الأول يستعيده بمناسبة ودون مناسبة، وكانت والدتي تشعر أن صلاتها أكثر طهرية في مقام السيّدة زينب، وكنتُ قد اصطحبتها مرّتين من لندن إلى دمشق وعدد من الزيارات إلى دمشق من بيروت.

دمشق أو الأرض المسقية حسب معناها القديم، هي أقدم مدينة مسكونة ومتواصلة في التاريخ، وإحدى محطات طريق الحرير، وطريق البحر، وموكب الحج الشامي، والقوافل المتجهة إلى بلاد فارس، أو آسيا الصغرى، أو مصر، أو الجزيرة العربية. وبقدر ما هي مدينة تجارية، فلها مركز سياسي مرموق تاريخاً، منذ الدولة الأموية، وأقام فيها أو دفن صلاح الدين الأيوبي، والظاهر بيبرس، وعُرفت بأنها مدينة الياسمين، وجاء في وصف ياقوت الحموي قوله: «ما وصفت الجنّة بشيء، إلاّ وفي دمشق مثله».

ودمشق هي الشأم، أو: الشام: سُمّيتْ بذلك لأنّ أول مَن نزل بها سام بن نوح، فجُعلت السين شيناً لتغير اللفظ الأعجمي؛ وكان اسم الشام الأول: سُورَى. وقال جماعة من أهل اللغة: (باعتبار) أنه يجوز أن لا يهمز فيقال «الشام"، فيكون جمع شامة، سمّيت بذلك لكثرة قراها وتداني بعضها من بعض فشُبّهت بالشامات..!

وهذه الشام لا تشعرك بالغربة، فالغريب فيها مثل ابن البلد، ولم يحدث أن أحسست يوماً من أن هناك فارقاً بيني وبين أي شامي، أو أنني أختلف عنه في «الحقوق» الشخصية والاجتماعية. قد ينطبق على وصفنا هذا بيت الشعر العربي: يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا / نحن الضيوف وأنت ربّ المنزل

لم أشعر بالأمان في أي بلد عربي أكثر من الشام. صحيح أن بغداد كانت آمنة في الستينات، والقاهرة أليفة، لكن حظوظ دمشق، كانت الأوفر والأكثر طمأنينة، لأنها الأكثر تعايشاً.

خلال القرون الغابرة التي مرّت على الشام كان النسيج الوطني السوري وما زال يتشكل من فسيفساء مجتمعية ذات ألوان وأشكال متعدّدة المشارب ومتنوّعة الانتماءات، وقد شكّل المجتمع الشامي أو الدمشقي تعدّدية ثقافية نوعية، دينية وإثنية تفاعلت مع بعضها بعضاً، لدرجة لا تستطيع أن تميّزها، فضمن ذلك الهارموني الموزائيكي هناك أديان وطوائف وإثنيات وأقوام ولغات، بل هناك أحياء تسمى بأسمائها، وقد حافظت جميعها على قدر من الاحترام الضروري في علاقاتها المشتركة، لا سيّما من خلال والتعايش والاختلاط، والمشترك الإنساني، وقد كان التنوّع مصدر غنىً وإثراء بتلاقح الثقافات، ولم يكنْ في الغالب الأعم مصدر توتّر واحتقان وعنف، إلاّ في ظروف محدّدة ومحدودة.

وإذا كانت «مقبرة الغرباء» في السيدة زينب قد احتضنت رفات عدد من الأصدقاء والأحبّة والمبدعين العراقيين، فلأنهم عاشوا فيها وقرّروا عدم مغادرتها، كالجواهري الكبير، ومصطفى جمال الدين، وغضبان السعد، وعبد اللطيف الراوي، وفاضل الأنصاري، وعلي كريم، وعبد الوهاب البياتي، وهادي العلوي، وسعيد جواد، وحسين مروّة، وغيرهم كثر..

ولأنها دمشق، فهي لا تعبّر عن ذاتها إلاّ بالتنوّع والتعدّدية والتسامح. إنها مدينة جامعة لأكثر من هويّة، وإنْ دافقتها بوتقة العروبة، لكن هويّاتها الفرعية حافظت على خصوصياتها مع احترام هويّتها العامة الشاملة. والمدن مثل النّساء، فكما لكل امرأة رائحتها ومذاقها، بوحُها وسرّها، حزنها وفرحها، دمعتها وابتسامتها، سحرها وغموضها، روحها وشكلها، فلكلّ مدينة خصوصيتها وطباعها وطبيعتها، في دمشق تتجاور الكثير من الهويّات، حيث تلتقي فيها الدهشة والجمال والفتنة والإثارة، ومثلما دمشق الغوطة والربوة وسحر الشجر وعبق الحجر وذكاء البشر، وأسماء الكنائس والجوامع، فإن فيها أجمل النساء وأكثرهن عذوبة ورقة وصفاءً.

من منّا لم يستحضر قصيدة الشاعر أحمد شوقي "دمشق" التي كتبها دعماً للشعب السوري ضدّ الاحتلال الفرنسي، فقد عاشت سورية في الوجدان العربي، ونستذكر منها البيتين اللذين ترددت أصداءهما في العالم العربي كله.

سلام من صبا بردى أرقّ / ودمع لا يكفكف يا دمشق

وللحرية الحمراء باب / بكل يد مضرجة يدق

(3)

باستعادة سوراقيا يقول الجواهري في قصيدته "دمشق يا جبهة المجد":

شَمَمْتُ تُرْبَكَ لا زُلْفى ولا مَلَقا
وسِرْتُ قَصْدَكَ لا خبّاً، ولا مَذِقا
وما وَجَدْتُ إلى لُقْيَاكَ مُنْعَطَفاً
إلاّ إليكَ،ولا أَلْفَيْتُ مُفْتَرَقا
وسِرْتُ قَصْدَكَ لا كالمُشْتَهي بَلَداً
لكنْ كَمَنْ يَتَشَهّى وَجْهَ مَن عَشِقا
قالوا (دمَشْقُ) و(بَغْدادُ) فقلتُ هما
فَجْرٌ علَى الغَدِ من أَمْسَيْهما انْبَثَقا
مَن قالَ أنْ ليسَ من معْنىً للفظتها
بلا دمَشْقَ وبَغدادَ فقد صَدَقا

يمّمَ العراقيونَ وجههم صوب الشام: أحمد الصافي النجفي، الجواهري، مصطفى جمال الدين، عبد الوهاب البياتي، مظفر النواب، سعدي يوسف، يوسف الصايغ، عبد الرزاق عبد الواحد، شاكر السماوي، هادي العلوي، حسن العلوي، يوسف العاني، ناهدة الرمّاح، زينب (فخرية عبد الكريم)، جواد الأسدي، شوقية، حميد البصري، كوكب حمزة، سعدون جابر، وفؤاد سالم، وغيرهم.

مَن من العراقيين لم يرتو من بردى ومن منهم من لم يَزر الجامع الأموي وسوق الحميدية أو يحلو له قضاء الأماسي مرتقياً قمة جبل قاسيون؟! أو زائراً في أيام الصيف بلودان أو الزبداني أو نبع عين الفيجة أو عين الخضرة.

يقول عنها الشاعر مظفر النواب: «إنها دمشق امرأة بسبعة مستحيلات، وخمسة أسماء وعشرة ألقاب، مثوى ألف ولي ومدرسة عشرين نبي، وفكرة خمسة عشر إله خرافي لحضارات شنقت نفسها على أبوابها، إنها دمشق الأقدم، ملتقى الحلم ونهايته...».

أما الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد فيرتل شكره شعراً لدمشق التي ضمّته إلى صدرها ومحت عنه آلام الفراق والغربة:

شكراً دمشق وهبت العمر أجمعه / حسن الختام وهذا ثوبه الخلق

يا أخت بغداد.. مليونان من بلدي/ في طهر أرضك ما ريعوا ولا رهقوا

بنصفهم ضاقت الدنيا بأجمعها / وأنت تسمو بك الأرحام والخلق

شكراً دمشق ولا والله لا طمع / ولا ادعاء ولا خوف ولا ملق

بها تغزّل الشاعر البحتري والشاعر أبو تمام والشاعر أبو نؤاس، ولجمالها الساحر وجمال طبيعتها وناسها تغزل أحمد شوقي وإيليا أبو ماضي وسعيد عقل الذي تمازجت كلمات قصائده مع اللحن الرحباني والصوت الفيروزي، ليؤكدوا بأن دمشق هي تأويل هذا الشرق في اكتمال خطاه:

ظمئَ الشرقُ فيَا شامُ اسْكُبي / واملأي الكأسَ لهُ حتّى الجِمَامْ

أهلكَ التاريخُ من فُضْلَتِهِمْ / ذِكْرُهُمْ في عُرْوَةِ الدهْرِ وَسَامْ

أمَوَيُّونَ فإن ضِقْتِ بِهِمْ / أَلْحَقُوا الدنيا بِبُستانِ هشامْ

أنا لَسْتُ الغَرِدَ الفَرْدَ إذا / قُلْتُ طابَ الجَرْحُ في شَجْوِ الحَمامْ

أنَا حَسْبِي أنَّني من جَبَلٍ / هُوَ بين اللهِ والأرض كلامْ

قَمَمٌ كالشمسِ في قِسْمَتِها / تَلِدُ النورَ وتُعْطِيهِ الأنَامْ

نعم هي دمشق فيحاء الشرق وحورية المدائن وترنيمة العشق الأزلي ومفخرة التاريخ وفيض الحضارات، كما قال الشاعر سعيد عقل:

"قرأتُ مجدَكَ في قلبي و في الكُتُب
شَآمُ، ما المجدُ؟ أنت المَجدُ لم يَغِبِ»

إنها دمشق تراتيل الأنبياء والقدّيسين:

"شَآمُ أرضَ الشّهامات التي اصْطَبَغَتْ
بعَنْدَمِيّ تَمَتْهُ الشّمْسُ مُنسَكِبِ»

فيروز غَنّت وَطَرّبت وأطربت... وَفي دمشق كان لصوتها معنى آخر «هنا الترابات من طيب ومن طرب / وأين في غير شام يطرب الحجر».

نعم هي الشّام، الياسمين والفل، هي الشام التي قال عنها الشاعر محمد كرد علي:

الفل يبدأ من دمشق بياضه / وبعطرها تتطيبُ الأطياب

والحبّ يبدأ من دمشق فأهلنا / عبدوا الجمال وذوبوه وذابوا

فالدهر يبدأ من دمشق وعندها / تبقى اللغات وتحفظ الأنساب

ودمشق تعطي للعروبة شكلها / وبأرضها تتشكل الأحقاب

(4)

تتعانق العروبة من سوريا عبر الجزيرة إلى العراق حتى بطاح البصرة، هو هذا الهلال الخصيب، بلاد الرافدين وبلاد الشام التاريخية التي نعرفها. ولا تستطيع التحدّث عن سورية من دون التحدّث عن لبنان وعن فلسطين التي هي في قلب سورية. وهو ما يشكّل الهويّة المانعة الجامعة للمنطقة كافّة، وليس لدولها، لأنها امتداد لشعب واحد موحّد لغة وتاريخاً وحضارة وأديانا، وحين تأتي إلى سوريا والعراق من الشمال لناحية مدينة دياربكر الكردية «التركية»، فستجد أنها أيضاً أرضاً موحّدة فإلى يسارك (المنطقة الكردية العراقية) وإلى يمينك (المنطقة الكردية السورية) وشمالها يوجد الامتداد التركي الكردي وتتصل بالمنطقة الكردية الإيرانية، جغرافياً ومجتمعياً وتاريخاً ولغة.

ومثلما تعرّضت الهويّة العربية التاريخية إلى تهديدات خطرة في السابق، منذ حروب الفرنجة، وغزو نابليون لمصر وفلسطين وجبل لبنان، والاحتلال البريطاني والفرنسي، فإنها تتعرّض اليوم إلى تهديدات أشد خطورة وبأساً، تستهدف الوجود العربي والهويّة العربية، والدولة الوطنية العربية، لتجزأة المجزّء وتقسيم المقسّم، أي تمزيق الهويّات الوطنية في كل بلد عربي، وجعل الصراع بين الهويّات صراعاً تناحرياً وإلغائياً، بدلاً من حوار وجدل تكاملي بخصوص الحقوق والحريّات ومبادىء المساواة والشراكة والمشاركة.

(5)

في دمشق ازددت عروبة، وأستطيع القول إنني وبعد أن زرت جميع البلدان العربية وتعرّفت على مجتمعاتها وثقافاتها وأحوالها، وارتبطت بصداقات طويلة وعميقة مع العديد من نخبها، أن الشام هي البلد الذي تشعرك بانتمائك العروبي وبهويتك العربية وجمال لغتك العربية أكثر من أي بلد عربي، فكل شيء في الشام ينبض بالعروبة،

←

وأقول مع نزار قباني:

دمشق، يا كنز أحلامي ومروحتي / أشكو العروبة أم أشكو لك العربا؟

وفي دمشق عظُمَ اهتمامي باللغة العربية، وزاد شغفي بها وأخذت أشعر أكثر من ذي قبل ما تركت النجف عليّ من تأثيرات آسرة في البلاغة والنحو وفخامة اللغة وتنوّع معانيها، فازددت الاستمتاع بها مثلما ارتفعت درجة إحساسي بأهميتها وجمالها لفظاً وشكلاً ومحتوى، فمثلاً يوجد في اللغة العربية عشر مفردات للحب وعشرون لفعل الحب وأربعون لمشتقاته. أما في اللغة الفارسية فهناك ست مفردات فقط، ثلاث منها أصلية وثلاث من أصول عربية هي: العشق والوله والمحبة. أما في اللغة الإنكليزية فهناك مفردة واحدة للحب هي: Love. أما Like فهي تشبه مبدأ الشبيه، في حين أن كلمة Erotic هي للحب والغزل، وهي عروس أروس السامية.

ونلاحظ هنا الثراء في الكم اللغوي للغة العربية قياساً باللغات الأخرى، وبالطبع فإن هذا يعكس تفاوتاً في الكم الوجداني، فالإنسان يعبّر عمّا يمارسه في حياته العملية ويحوّله إلى لغة، ولذلك تجد كثرة مفردات الحب باللغة العربية، وهي دليل الوجدانية كما يقول هادي العلوي.

وفي دمشق ازددت «فلسطنةً»، فعلى الرغم من انتمائي الوجداني لفلسطين وتعلقي من باب الحقوق والعدالة بقضيتها، فقد شعرت بحرّية أكبر وأنا أتناول مواقفنا اليسارية بالنقد، بما فيها نقد الأسس التي بُنيت عليها بعض المواقف ابتداءً من قرار التقسيم وما تبعه من التباسات وارتباكات على مستوى النظرية والممارسة.

دمشق مثل بغداد شدّتني وساهمت في اعتدالي وزادتني مرونة وتسامحا، وملت فيها أكثر فأكثر إلى القبول بالآخر واحترام «حق الاختلاف»، وتلك سمة التمدّن، ومعنى ذلك أن دمشق دمْشقتني، مثلما بغداد بغددتني، أي أنهما مدّناني، فالدمشقة والتبغدد معناهما، التمدّن، والتحضّر.

وفي التمدّن، يكون الإقرار بالتنوّع والتعدّدية مسألة بديهية، بحكم التعايش والتجاور والاختلاط، الذي ينمّي روح التسامح وقيم الاعتراف بالآخر وقبول الحق في الاختلاف. وفي دمشق تجتمع أديان وملل ونحل ولغات، وفي دمشق تتجاور المساجد والكنائس والحانات، من باب توما إلى باب شرقي وحي الميدان، ومن الجامع الأموي الكبير وجامع الباشورة أو السادات أو مدرسة وجامع النورية أو جامع الشيخ محيي الدين أو مقام السيدة زينب أو مقام السيّدة رقيّة، إلى كنيسة يوحّنا المعمدان ومصلى القديس حنانيا وكاتدرائية القديس أنطونيوس والقديس بولس وكنيسة القديس يوحنا الدمشقي وكنيسة سيدة دمشق والسيدة العذراء وكنيسة الروس والكنيسة الإيطالية ودير الراهبات، وغيرها.

في دمشق ازداد شغفي بالفن والأدب، فقرأت عشرات الروايات العالمية والعربية والسورية، وشاهدت أعداداً كبيرة من الأفلام. وكنت في الستينات والسبعينات خلال زياراتي المتكرّرة للشام أحضر كلما صادفني يوم ثلاثاء عروضاً خاصة في سينما الكندي، حيث يفتح باب المناقشة بعدها، لحوار حول الفيلم وأحداثه ودور الممثلين والممثلات والإخراج والرواية، وغيرها من الأمور التي يشترك فيها الجمهور مع أصحاب الاختصاص.

دمشق علمتني حب الصباح، والصباح دليل الأمل، ويمكن القول أنّه دليل العافية وحسب المفكر هنري ديفيد ثورو تقاس صحة الإنسان بحبّ الصباح وحبّ الربيع، فالفجر والإشراق والضوء والنور والندى والهدوء تجتمع كلها مع الأمل، وحتى لو كنت متشائماً بفعل إن كل ما حولنا مدعاة للتشاؤم، فالأمل لا يجعلني يائساً بقدر ما يمتلك من الاستمرارية والتواصل والإصرار على التغيير. وفي الأمل تشعّ الابتسامة والبهجة والإقبال على الحياة والفرح بالنهار الجديد.

محمد الحريري الشاعر المصوّر ١٩٢٢-١٩٨٠

• عيسى فتوح

(لن يجرؤ النسيان يوماً، على الرغم من قدرته على المحو أن يمحوك من أذهاننا أبداً).

محمد الحريري شاعر كلاسيكي، وكاتب ومرب.. ولد عام 1922 في حماة، من أسرة عريقة اشتهرت بحب الأدب والشعر، وتلقى دراسته الابتدائية والإعدادية والثانوية في مدارسها حتى نال شهادة الدراسة الثانوية عام 1946، ثم انتسب إلى الجامعة السورية في دمشق، وحصل منها على الليسانس في آداب اللغة العربية وعلومها عام 1953، ثم عين بعد ذلك مدرساً في ثانوية القلمون بالنبك، إلى أن انتقل إلى ثانويات مدينة دمشق عام 1957، وظل يدرّس في مدارسها حتى عام 1972 حيث ندب إلى العمل في تحرير مجلة "المعلم العربي" بوزارة التربية، وقد استمر يغذيها بشعره الطلي ومقالاته حتى وافته المنية يوم الأربعاء في 1980/8/27 وهو في الثامنة والخمسين من عمره، ونقل جثمانه في اليوم الثاني من مشفى حرستا العسكري بدمشق إلى حماة حيث دفن في مقبرة "ستركين".

تفتحت مواهبه الشعرية وهو فتى في العشرين، فأخذ يلقي قصائده في الحفلات الجامعية منذ أواخر الأربعينيات، وكان يتمتع بموهبة إلقاء الشعر، وجذب الأسماع بقوة نبراته، وحسن أدائه، يواتيه في ذلك شعر جزل وقوي، قوامه الديباجة الغنية، والصورة الجميلة، والتصوير البديع.

كما كان يتمتع بروح مرحة، وظل خفيف، ودعابة محببة، وكانت الابتسامة العذبة لا تفارق محياه، وقد عملنا معا عام 1973 في مجلة المعلم العربي، وما زلت أذكر تلك الجلسات الممتعة التي كان يعقدها في المجلة، ويشنف الأسماع بنوادره الطريفة ونكاته الضاحكة حتى نخرج من غرفته وقد زال عنا صدأ الهموم، واستفزتنا نشوة الطرب والانشراح، وكثيراً ما كان يدير النكات حول بدانته وجسمه المفرط في السمنة، وشرهه إلى المآكل اللذيذة التي أدت في نهاية المطاف الى تفاقم الأمراض عليه، وإحالته إلى رجل هزيل الجسم قليل الهمة والحركة.

لم يطبع الشاعر محمد الحريري ديوانه في حياته، وبعد مضي خمس سنوات على وفاته قام اتحاد الكتاب العرب الذي كان عضواً فيه، بتكليف الشاعر شوقي بغدادي بجمع ديوانه وقصائده المبعثرة هنا وهناك وطباعتها، وقد صدر الديوان عام، 1985 في 386 صفحة، وعُهد إلي بالإشراف على طباعته وتصحيح تجاربه.

يقول الشاعر شوقي بغدادي في مقدمة الديوان: "لقد ظل شعر محمد الحريري مبعثراً موزعاً بين المهرجانات الخطابية والأمسيات الشعرية والصحف والمجلات، وحين كان أحدنا يسأله: لم لا تجمع شعرك يا محمد في ديوان مطبوع؟ كان يجيب أحيانا وهو يتصنع الجد: سأفعل ذلك حتما، ولا ينقصني إلا تبييض بعض القصائد لم تكن المجموعة جاهزة"، ولكنني كنت أعرف أنه كان ساخراً، إذ لا شيء أثقل على نفسه من نسخ القصيدة مرة أخرى بشكل منسّق واضح جاهز للمطبعة".

لقد أتاحت لي ملازمة الشاعر محمد الحريري طوال سنة كاملة في مجلة المعلم العربي، فضلاً عن حضور أمسياته الشعرية التي كان يُدعى إليها، وتستقطب الكثير من جماهير المعجبين بشعره الجميل وأدائه الرائع، وصوره البديعة التي يعجز عن رسمها أمهر فنان... أتاحت لي أن أعرف الكثير من أخباره وأسراره وخفايا نفسه، وتفصيلات حياته اللاهية العابثة التي عاشها وحيداً عازباً، منقطعاً إلى التدريس ونظم الشعر، من دون أن يكلف نفسه حمل أية مسؤوليات.

دار أكثر شعر محمد الحريري حول مغامراته العاطفية، والتغزل بالحسان، من دون أن يقف قلبه على حب فتاة واحدة.. كان ينقل فؤاده حيث شاء من الهوى، وإن وردت أسماء "دلال" و"هدى" و"هالة" في بعض قصائده، ويؤكد صديقه شوقي بغدادي أنه "لم يعرف الحب بمفهومه التقليدي العميق، أي حب امرأة محددة ولمدة طويلة من الزمن، وأنه كان صياداً لجمال المرأة أكثر منه عاشقاً متيّماً".

كان يترصد اللقطة المثيرة والحدث الطريف، والمرأة الجميلة الهاربة من الرجل، أو المتعاطفة معه سراً، ليصورها تصويراً ذكياً تشيع فيه روح الدعابة والنكتة، كما في قصيدة "وراءها في سوق الحميدية" التي يقول فيها:

خفتُ، لا أدخل، حتى أقبلت
ذات حسن شقت السوق منارا
فتظللت بقد حوله
نتف اللحظ فُراشاتٌ سكارى
سرت والحسناء حتى صادفت
بائع السجاد فالتف ودارا
صارخا: يا ليتها كانت على
وجنة السجاد نقشاً لا يجارى
أتبَع الحسناء لا أدري إلى
أين تنهي رحلة الحسن قرارا
وطوينا غمرة السوق إلى
منتهاه محكماً منها الحصارا
غير أني ارتعت لما استلها
"الأموي" الرحبُ من كفي اقتسارا...

وقصيدته "المظلة" التي بلغ فيها قمة التصوير والمبالغة المستحبة، والخيال المجنح، وكل ذلك في قالب قصة شعرية لا أبدع منها ولا أجمل:

حين أشرعت المظلة...
للسماء المستهلة
قد تخوفت وحقٌ
أن تخاف الماء شعله
فتجمعت لهيباً
تحت أفياء المظلة
غصن نار قد تحدى
شبق الغيث الموله
فانبرى الإعصار يرمي
في مهاوي الجو ثقله..

وقصيدته "في السينما" التي جعل فيها شباك التذاكر يتنهد على خمش أظافر تلك الحسناء الفاتنة التي قهرت جمرة خدها برد الشتاء، وسار وراءها حبل من البشر المغامرين، وكان هو أول ذلك الحبل:

وقفتُ بشباك التذاكر
تلقي بأصبعها الأوامر
فتنهّد الشباك واسترخى
على خمش الأظافر
بيضاءُ أوشك خدّها
بلهيبه يغزو المجامر
قهرت بجمرة خدّها
برد الشتاء فعاد خاسر
وهوى فأسعفه بنانٌ
من إطار الكم ظاهر
فاصفرّ ورد بنانها
من عضة البرد المكابر
لولا احمرار الكرت
لم تظهر أصابعها لناظر..

لم يقصر محمد الحريري شعره على الغزل الصريح، بل تجاوزه إلى أغراض أخرى كالوطنيات والاجتماعيات والوصف والرثاء والتأمل... ومن أجمل قصائده الوصفية المعبرة قصيدته "الشاعر" التي اختار لها الشكل الحديث واستهلها بقوله:

إن مات الزهر / لا يحييه إلا الشعر / إن جف النبع / وأطل على النبع الشاعر / وروى بيتاً / لأعاد إلى الدفق الهادر / نبعاً ميتاً / لو أن الأقدار انقطعت / في قيثاره / وسرت من شفتي شاعر / بعض عباره / لا نشدّ الوتر المقطوع / وأعاد النغم المقطوع / للقيثارة...

لم يعش محمد الحريري في برج عاجي، بعيداً عن هموم الناس ومتاعبهم ومعاناتهم، بل صور في العديد من قصائده السهلة والواضحة آلام الفقراء والكادحين والمعذبين، كالمعلم، والمقامر، وبائع الأسكا، والأعمى الذي أحب عمياء.. يقول في وصف "بائع الأسكا" وهو طفل فقير نحيل الجسم، تكوي شمس الصيف الحارة جلده:

راح يغفو بعدما طاف طويلاً
قرب صندوق خوى إلا قليلاً
راسماً بالجسم قوساً لدنة
شدّها البؤس ليرمي المستحيلا
هو طفل كومة مجهولة...
صبّها الفقر ضياعاً وذهولاً
ضم خديه رصيفٌ ناعمٌ
ذاق من وقع الخطا عبئاً ثقيلا
راقدٌ يحلم بالبيع غداً
فهو يرجو الثلج أن يبقى طويلاً

ويقول في وصف المعلم الذي يسقي القلوب سلسلاً من فرائده، ويقضي الليل ساهراً مكباً على تصحيح أوراق تلاميذه حتى مطلع الفجر:

يدك الوضيئة إنها ريحان
فاغرس يديك يعربد البستان
واسق القلوب من الفرائد سلسلاً
من فيضه قد تخجل الغدران
من طول ما لازمنه نسي الدجي
وغفا بعينك هدبه الوسنان
في اللوح في ظلماته ينمو السنا
حرفاً ويضطجع الضحى الوسنان

كما دفعه التزامه بقضايا الشعب، وشعوره بالواجب الوطني إلى نظم عدد لا يستهان به من القصائد الوطنية التي عبر فيها عمّا يختلج في ضميره من إحساس بالمسؤولية الملقاة عليه كشاعر، ولد وعاش فترة شبابه في مدينة حماة المعروفة بتاريخها البطولي وانتفاضاتها على الاستعمار.. فمن قصائده الوطنية "رشيش الفدائي" و"قناة السويس" و"عبد الناصر" و"عبق الوحدة" و"الفدائيون" و"القدس المحتلة" و"شهداء ميونيخ" و"دماء الشهيد" و"شهداء الجلاء" و"شهداء أيار" و"جبل الشيخ" و"الجزائر" و"عمر المختار" و"فلسطين المقسمة" و"المسجد الأقصى" و"فوزي القاوقجي" و"نوري السعيد" وغيرها...

يقول في قصيدة "دماء الشهيد":

يا دماء الشهيد ضمّي الشهيدا
والثميه ورداً وشمّيه عيداً
وابعثي من لهاثه خير لحنٍ
واعقدي من دمائه عنقودا
قد لوى جيدَ الشهيد ليعطي
لبلادي من المكارم جيداً
يا دماء الشهيد بوركت نهراً
سرمدياً لم ينقطع تغريدا
فعلى ضفتيك جنات عدنٍ
لثم الصبح ظلها الممدودا

بقي أن نقول إن شعر الرثاء عنده قليل، لم يتجاوز القصائد العشر، قالها في شفيق جبري، وفريد الأطرش، وعبد المطلب الأمين، ووصفي قرنفلي، وياسين طربوش، والشيخ محمد بهجة البيطار، وبدر الدين الحامد، وفايز منصور... يقول في رثاء أستاذه شفيق جبري الذي كان يلقب برجل الصناعتين: الشعر والنثر:

شببت فوق الجبال الشعر نيرانا
حتى أراك من الأبعاد بركانا
أطلعت في روحنا شمساً معربدة
تهفو لنا الشمس آفاقاً وألوانا
فعد بنا للرياحين التي غرست
براحيتك فإن الشوق أضنانا...

خير ما أنهي به هذه الدراسة، تلك الكلمات المؤثرة التي ودعه بها رفيق طفولته وصباه الشاعر سليمان العيسى، فقد قال تحت عنوان "طفلنا الكبير الذي فقدناه":

"وتمر الأعوام، ونفترق ونتباعد، ولكن رفقة التجهيز في حماة، وقصائد الطفولة الغضبى تظل ينبوع الحب والشعر والحنين... ونجتمع بعد غربة طويلة في دمشق، وألتقي صديقي القديم، ويبادرني وجه الطفل البريء الطيب الضاحك أبداً: عندي قصيدة جديدة سأقرؤها لك... ودون أن ينتظر جوابي، يمد يده إلى ورقة تجعدت أطرافها، وامتلأت بالخطوط الزرق، وقد ركب بعضها بعضا، حتى ليخيل إليك أنها مجموعة ألغاز وطلاسم تستعصي على الحل".

"كان محمد الحريري أجمل من قصائده وأخصب وأغنى، كان هو القصيدة، يضعها في جيبه ورقة متجعدة ثم ينشرها عليك دنيا من العذوبة والحب والشعر وخفة الدم... ما خلا أسبوع من زيارة أو أكثر، يأتي إلى غرفتي، يفتح الباب بلطف، تسبقه نظرته الصافية، تتلوها ضحكته الوديعة: أنت هنا... سأغلق الباب إذاً، وستسمع مني قصيدة جديدة كتبتها أمس، وأشعر من أعماقي بالفرحة حين أراه، أعرف أن أمامي نصف ساعة من الشعر والمرح والصفاء الذي ينسيك هموم الدنيا، ويغسل متاعبك كلها، وما يكاد يبدأ قراءة قصيدته بإلقائه الرائع حتى تكون غرفتي امتلأت بالأصدقاء، وإذا نحن في مجلس شعر وأدب وفكاهة خصبة مبدعة تظل زادنا على الأيام".

وَعْدٌ

•غازي عبدالعزيز عبدالرحمن

سَيَبْقَى السِّرُّ مَا بَقِيَ الوِدَادُ
وَيَبْقَى الودُّ مَا نَبَضَ الفُؤَادُ
وَيَبْقَى فِي مِدَادِ البَوْحِ حَرْفٌ
يُوَصِّلُ مَا يُقَطِّعُهُ البعَادُ
فَيَا أَسَفِي إِذَا جَفَّتْ دَوَاتِي
وَيَا حُزْنِي إِذَا ضَاعَ المُرَادُ
فَلاَ جَفْنِي تُهَدْهِدُهُ القَوَافِي
وَلاَ دَمْعِي يُكَفْكِفُهُ السُّهَادُ(1)

-1 - السهاد : الأرق

عائدة

•علي معروف

حلبٌ قصدنا، ويسأل قلبي..
والأماني يغيظهنَّ السؤالُ
والهوى شاغلي وفيضُ حنيني
يتبارى وهاجسي والخيالُ
همُ رومٌ وخلفهم ألف رومٍ
وعلى جانبي حماتها القتالُ
هان فالسيفُ أمة تتلظى
وبفرسانها يطيب النزالُ
حلبٌ قصدنا ونحن إليها
والمروءات ما ترام تنالُ
واستبحنا الأوغاد، يشهد وادٍ
ورواب ووهدةٌ وتلال
بالخطا نوصل الظُبى ونليها
حينما تعوذ الوصال النصالُ
ليس في عرفنا الرحيم رحيماً
بالدماء الحمقاء حين تُسالُ
آن أن تبرئ الجراح جراحٌ
ويساقى بأكؤس الماء آلُ
محنةُ الظلم إن ألمت وطالت
واستفاض الغوى وأوفى المجالُ
وتغاضت عمَّا أتاه بنوتها
صدَّ طغيانها العتيَّ السوجالُ
وانجلى الشرق عزةً وإباءً
واعترى شمس غاصبيه الزوالُ
عاد تاريخنا وعدنا إليه
فهو للمجد موطنٌ ومسآلُ
ورؤانا أضحت بقدر هوانا
ويدانا على ثرانا طوالُ
عدت شهباء والطيوف اشرأبت
وتناجى مع الجنوب الشمالُ
زغرد النصر فالشآم تغني
يتعالى من خيلها التصهالُ
وعرسا البيداء والرقة الثكلى
ودمع الفراق ثرٌّ سجالُ
هي في موطني الجميل لواءٌ
وهي في وجهه الملأ لأخالُ
كفكفي الدمع فالصباح وشيك
والسرايا وحداتهنَّ عجالُ
واتركيهم لساقيات الصحارى
والصحارى مياههن الرمالُ
لا تبالي، أنَّ الدعيَّ كذوب
باطلُ الزعم آفك دجالُ
نحن قومٌ وإن كبا الدهر فينا
أين منا الدعيُّ والأقوالُ؟
شعبنا الحرُّ لا يبدل قوماً
أو دياراً وإن قست أحوالُ
حبنا الأرض والديار جميعاً
هي في مقلة الهوى لا تزالُ
نحن والحب توأمان، كلانا
لا يجارى إذا سرى أو يطالُ
والرياحُ الهوجاء تسفي يوماً
كل ما في عيونها تهطالُ
لا مقبلاً له بأرض بلادي
أو مسيلاً بجانبيه ظلالُ
إرثنا العدل كم تألق جيلاً
بعد جيل واتابعت أجيالُ
فاسألونا أللشعوب حقوق
في سواها، موارد وغلالُ
أم عليها النفير حين تنادى
لعثار في أمةٍ وتقالُ؟
هكذا تنهض الحضارة فينا
وتكافي أقوالها الأفعالُ

صبوة دمعة

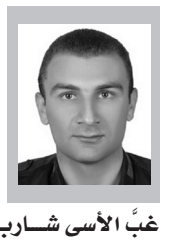

•ياسين الرزوق

غبَّ الأسى شـــاربٌ من أمســه عبرا
حتَّى بدا في نـــداه الصبحُ مفتخـــرا
يمشي على أبحـــر الشعر التي عُقِرت
بحرٌ على موجـــــه قد هَدْهَدَ المطرا
حبلى بلادٌ بمـــاء الطهر قد غَرِقت
كيلا نرى حومـــةً للرجْسِ إن ظهرا
يستنطقُ العدلُ في أمجـــادنا حِقَباً
و الظلمُ منَّـــا يخلِّي الجهل مقتدرا
للأرض حلمٌ ينـــادي صبوةً هرمت
حتَّى غدت في الصبـــا أحلامُنا قَدَرا
أوطاننا في كتـــاب الأمس قد طُمِرت
فاستمطروا الأمس في أزمـــاننا دررا
من أنزل الغرب في أفكـــارنا وطناً
هل حرَّرَ الشرق أم من قهره عَبـــرا؟!
جـــاءت جموع العدا من ردَّةٍ زُرِعَت
كي تسقط الدين في أعـــــلامه زمرا
هل دمعةُ البوح في أقلامنـــا خُنقتْ؟!
يا حسرة الدمع في أجفـــاننـــا أُسِرا
ليت الكؤوس التي في قـــاعهـــا وجعي
استصرخت في نبيذ القـــاع من صَبَرا
نستنزف الجرح في أنســـابنـــا فنرى
سيلَ الدما قد جرى في جرحنـــا مُضَرَا
من بالبشاعات غطَّى أوجهـــاً حُرِقَت
هل قبَّحَ الوجـــــه أم أخفى به القمرا؟!
إنْ تدفنوا الـــروح في أهوال نشوتـــــه
لا تبعثوا الروح من كربـــــاته نُذُرا
هذي حماةُ التي في حبِّهـــــا سكرت
بالشوق أكبـــــادنا تستعذبُ السَمَرا
يا شعلةَ النور ســـــوِّي نارنا حمماً
بالسلم سخطاً على الأحقـــاد مستعرا
لا تهجروا الشمس مهمـــا أحرقت أمماً
فالشمسُ ثـــارت على ليل الورى نُهُرا
يا صرخة الدفْء في نبضات من عشقوا
ما ضـــلَّ قلبٌ فدىً للشعب قد نُذِرا
سوريَّتي ما سوى الإنســـانِ شرعتنا
عينٌ تنـــادي فداكِ النومُ مذ هُجِرا
بشَّارُ يا ذا الصدى و النَّـــاس كم حلفوا
في كعبة الحبِّ بايعنـــــاك مُعْتَمِرا

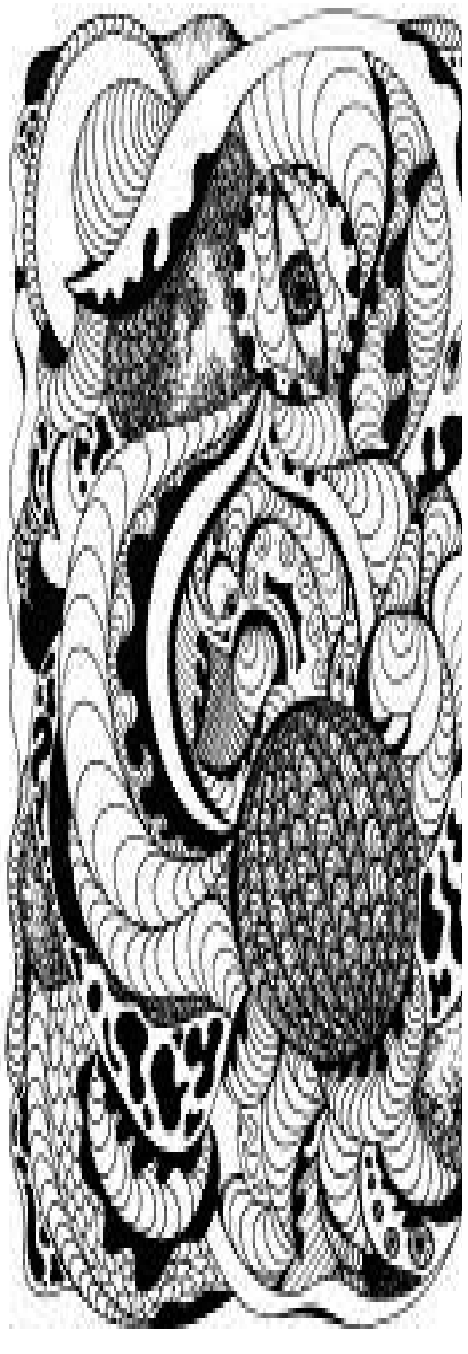

قصص قصيرة جداً

•خضر الماغوط

1 - علاقات إنسانية

بالأمس كنتُ وحيداً في الحديقة ذاتها، حيثُ اعتدنا أن نكونَ معاً، سألني المقعدُ الحجري شامتاً:

أين تلكَ التي كنتَ تفرشُ الجريدة تحتها كيْ لا تتغبر ثيابها، أيها الوحيد؟.

صرختُ به: أيها الحجر اللئيم، لقد ارتفعَ سعرُ الجريدة!.

.....

2 - العقدة

لاعبُ الشطرنج الذي يبدوبأنَّ الخرف قد أصابهُ مبكراً، صار يهوى ارتياد المقاهي منفرداً !.

يطلبُ الشطرنج مع فنجان القهوة، غيرمهتمٍ باستغراب عامل المقهى عدم وجود لاعب آخر برفقته.

يشربُ قهوتَهُ، وهو يعبثُ بقطع الشطرنج ؟.

يستغفلُ الحضورَ وعمال المقهى، يسرقُ الملكين والوزيرين، يخفيهما في جيبه، يدفعُ الحساب، ويخرج مسرعاً .

هناك في الشارع، يبتسم للمارة، ويتنهدُ مرتاحاً...

وهو يُلقي بمسروقاتهِ في أقرب حاوية.

.....

3 ـ نباش القمامة...

أبداً لم أكن مهتماً بحاويات القمامة، إلا إنه خرجَ من بين أكوامها وناداني، كان يحمل بإحدى يديه كتاباً صغيراً، وباليد الأخرى يحملُ حذاءً عتيقاً مهترئاً... استوقفني، ناولني الكتاب وهو يسألني: هل لهذا الشيء قيمة تُشبعُ الخبزَ يا أستاذ؟. تصفّحتُ الكتاب قليلاً ثم قلتُ له : هذا بيان حقوق الإنسان يا صديقي... ضمَّ الحذاءَ إلى صدره، ورمى البيان إلى حيث كان..

.....

4 ـ هذا أنا...

تلك الطالبة القروية، التي رافقني من القرية إلى الجامعة ، انتعلت لأول مرة حذاءً ذا كعب عال جداً، لتخفي قصر قامتها، هناك في أروقة الكلية وعلى مدرجاتها، لم تكن تتوازن في المشي، فتناديني لتستند إلى كتفي أو تتأبطني. هَمَسَتْ لها زميلتها: إنَّ من يراكِ تتأبطينه، يتهمك بعلاقة عاطفية معه...

أجابتها صديقتي القروية بصوت هامس، لكنني سمعتها، أذني كانت أقرب إليها من أذن صديقتها:

ـ لا يا عزيزتي،الجميع يعرف إنني عندما أنتعلُ الكعب العالي، أكون بحاجة إلى (حائط) أستند إليه.

.....

5 ـ في المقهى...

قبل موعد اللقاء، أتيتُ باكراً وانتظرتها، وأنا كالتلميذ الذي يستذكرُ محفوظاته غيباً، كنت أسترجع في ذهني كلمات الشوق التي سأقولها لها، وأتخيلُ الكلام الناعم الذي ستقوله لي.

جاءت في الموعد تشكو علةً في حذائها.

ومضى اللقاءُ في الحديث عن رداءة صنع الأحذية.

رقائقُ النور

• فاطمة صالح صالح

رقائقُ من وسَن الضياء، تشف، كلمسة حانية، على رؤوس جبالنا الخضراء، وتلالنا الناهضة، تمسح بها الشمسُ الغاربةُ جباهَنا المعروقة، رغم غزارة أمطار هذا الشتاء، الذي يحمل معه أحلام رؤانا، مغلفة بضبابٍ كثيف، ورعد، وبرق، وهطول..

قمْ يا أيها النائم في بطونِ الأرض..

انهض، واعتلِ القمم..

واصرخ بأعلى مدى..

أيقظ الحالمين..

قل لهم : لقد حان وقت اليقظة، واستلام حبال الأشرعة، واستقبال جبهة البحر الزرقاء..

حان وقت الغوص في الأعماق، واستخراج أجمل الدرر، وأثمنها، وأبهاها..

لا وقت للنوم، بعد الآن، يا سكان القمَم..

لا وقت للعناء..

الوقت صار إلى فرح، ونشاطٍ، وأغاني فلاحين، وزغردة صبايا الأعراس الريفية، وزيارات الأولياء..

قم، يا أيها النائم.. وامسحْ جبين الشمس، بكف من عطاء..امشِ معها، ولا تبالِ.. فطريقها دائمُ الضوءِ، وشروقها يفتَحُ الروحَ على مصراعيها ، ويغرسُ فيها الأمل..

لا تنحَنِ، سوى لتجني، وتعطي.. ففي العطاءِ غنى..

أيها الغنَي، اشحذ الهمَم.. ولا تكتفِ بعطاءِ المادة.. فالروحُ عطشى للمَعنى.. وقد قيدتها أغلالُ المادةُ، حتى العَدَم..

امنح الروحَ معناها، وخلودَها.. فلم تُخلَق سوى للعطاء.. للخلود.. للكلي الخضرة.. الأعظم، والأقدَر.. للنورِ اللامحدود..

قم، يا أيها النائم..

فقد استيقظ الليلُ، من أولِ همسةِ نور.. وراحَ يعطي.. ويعطي.. ويعطي.. ويخفي تحت جناحه، همومَ الناس.. يتركها تستريحُ في حضنه الخصيب، لتنعشَها حبائلُ النور الخالدة، المُتجددة..

قَمْ، وانهَضْ، واكدَحْ، واستنشق العبيرَ من أنفاس الصباح، الذي تبشرُ به هذه الرقائقُ الراحلة، لتبزغَ من شرقنا العريق، وتفتحَ المدى للضياءِ الجميلِ، والجليل..

الصبحُ بانتظار التجدد..

فانهضْ، وغيرمَسارَ الحياة، نحوَ الأبهى، والأرقى، والأنقى..

أيها الحالمُ بالارتقاء..

دنيـــــا

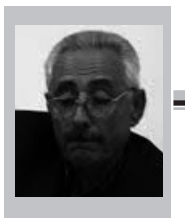

•سليمان السلمان

رسمتني على الشفاه
الحروفُ
ورمتني بلا عيون أطوفُ
أسأل النقطة الحزينة عني
يتراءى في دمعتي ما يخيفُ
يكشف الكون عن مداهُ
فيراني ..
كيف لي أن أراهُ
بعدما أظلمتْ شمسهُ.. وظلّتْ سماهُ..
يأكل الليلُ نجمها وضياهُ.
يتباهى وارث الحلم أن رآني
ثم حارتْ في ظلمةٍ رؤياهُ .
هي دنيا ..
مَنْ ناسُها .. وحرّاسُها
أي أرض لها وعدها .. على سَبْخَة
طينها من خراب يسعى إليه الخرابُ ؟!
وألى أين وجهها الألقُ الدامي..
تتقرّاه ..صفحة الويل ..حين غابتْ
وغَرَب الأحبابُ ؟!
.....
يا مراسيل حلمي .. أفيقي
ليس من صحوة ..
ضلّتْ طريقي ..
نائماً فيه أمشي
ووراثي يمشي خيالُ عروقي .
من حريق أمضي..
كما يمضي الحرونُ ..
وفي مدمعيَ حريقي .
أيُّ دنيا هذي التي .. كنتُ فيها
أصنعُ الحلم.. أعدو ..
فتَعْدُو خلفي حجار الطريق ؟!
لم يكن وعدُنا ..أن تنامي
قربي.. ولا تستفيقي .
وعدنا النصرُ في كلّ خطوة شمس
فلماذا نامت شموسٌ
وظلتْ سماءٌ تقطُرُ الويلَ في عيونِ الغريقِ
.....
أنهضيني دنيايَ ..من وجع القصد..!
فقد ماتَ من ماتَ
وظلّت مشبهات الموتى .. تهلّلُ بعدي..
تتوشّى بالنار من فوق الحجاز ونجد..
وأنا .. حائر في العمى ..
أقطّع رؤياي .. ركضاً
ما بين ذئب وكلب .
لا ألوم السماءَ ..هذي نجومٌ
تنأى عن بعضها .. وهي قربي
تتلوّى.. تهذي ..بالذي قالت الأرضُ
وتهوي ..مثل دمعي ..
على مضارب قلبي .

هزّي سريري كي أريد

•بسام حمودة

تيهٌ يؤرّقني ولا سَفَرٌ
ولا زادٌ
ولا أشلاء
بوصلة لتحملني
ولا شَروى نجومْ
ورميتني ... والعمر مفترَقٌ
وبين الوعد واللّقيا تناثرنا
وضلّ الخطو وانكسر الغناءْ
.....
يا أيُّها الحادي وما في الرَّكب من قبسٍ
وهذا الشّدو أورثني أنين الدَّرب
والصّحراءُ مقبرةٌ نمتْ
مثل اجتياح الوهم آفاقاً تنازعها الهمومْ
وأنا صريع هواجسي
أمشي بلا وعد ....ولا حُلُم
ولا ميناء كي أرسو
ودربي قد أضاع الخطوَ في
أفُق تلبّد بالغيومْ
فأهيم في طيّاته :
أهي الشّمال تشدّني ؟
أم أنّ عاصفة الجنوب يضجُّ في سيمائها
وهج السّموم ؟
أم إنّ ريح الشّرق والفها جنون الغرب
فانقضّت ..
وجال الرّوم في أنحائنا ؟
أحشاؤنا ضجّت بروم
.....
زمنٌ يدور ....
وفي مساحة صحونا أشياؤنا ارتهنت
لطعم الركض في دوّامة
والكلُّ في فَلَك يدورْ
كلُّ الجهات حَبائلٌ
أم أنّ في أوصال خارطتي دمٌ
ينثال مثل البوح في صمت
كسا طقس القبورْ
أحشائيَ الخضراء صاخبةٌ وفي خطواتنا
سيلٌ من الشّكوى
وبركانٌ يكاد ...ولا يثورْ
.....
بردٌ وصحراءٌ ولونٌ أصفرٌ
كالموت لكن لم يزلْ
يجثو على شفَة الأفولْ
يهفو لدفء قد تناسته الأماسي
واستطال البوح عن وجع
تعرّى في متاهات الفصولْ
الوقت من عبث يعدُّ لهاثهُ
ويمجُّ حلم الدّرب في سَفَر يطولْ
ودمي يرفُّ كمهجة يجتاحها
وهج الحنين لموسم
أعياه في السَّفر الوصولُ
فبسطتُ من جسدي سبيلاً من نضار
علّ من أشقته في سَفَر خطاه كعاشقٍ
أضناه طول الهجر في
ليل تغشّاه الضّبابْ
يصحو بلا وجع ليئمّني
وأنا ابن هذا اللّيل لكن
لم يخامرني شعورٌ بالخواء
ولم أعاقر شهوة الإبحار في زمنٍ سرابْ
يامنْ توضّأ بالجنون
وخامرتْ بعضَ الرّؤى نتفُ اليقينْ
إن شئتَ حدّثني حديثاً
لم تداخله الظّنون وخلّني
أمتاح من رؤياك أسئلةً تشاغلني
لعلّي إن غفوت تهزّني كفّاكَ
كي ألقى بلا عبثٍ جوابْ
الرّيح تعدو
والقوافي متعبات الخطو في شفةٍ غفتْ
والوقتُ من وجع
على أنّاتها يبسُ العتابْ
هذا ندائي كيف لي ؟
والصمت أعتق صرختي
من ألف نافذةٍ وبابْ
.....
ياراحلاً في الحلم ، أوقفْ سطوة الإبحار
في زمن هلاميِّ الرّؤى
تعبت مراسيك الّتي أرسيتَها حضناً
وكان العصف مسكوناً بآيات تفوح سكينةً
عتباتها وردٌ وريحانٌ أغنيةٌ
تشدّ العمر مشتاقاً لألحان السّلامْ
وأنا تعبت وإنّما لم تثنني
تلك المتاهات العصيّة ربّما
تعب المتاه وشدّني
فرغبت في حلم يراودني
كبوح الوجد في جسد الهيامْ
.....
أمّاه .. أسرجت الحنين لقبلةٍ فوق الجبينِ
لكي أنامَ وفي دمي
دفءُ الأمان ....تفيؤني ...
كالصّبح في وقت تداهمه الرّؤى
ينساب في عذبِ الكلامْ
هزّي سريري ....
إنّني أوغلت في سهدي وأنت حكايةٌ
ما حدّها زمنٌ
ولا اتّسع المكان لبوحها
يمناك أيقظت الحنين وإنّما
يسراكَ أيقظت الأنامَ ولم أزلْ
أطفو على ظمأ يشاغل مقلتي
وتفرُّ من عينيَّ أسئلةُ المنامْ
فيداك تحملني إلى مثواي في حضنٍ
يقاسمني بقايا الدفء كي أغفو
لأنّ الجرح أوغل في الصّديدْ
هزّي سريري كي أنامْ
تَعبٌ أنا .... أمشي الهوينا ...والدّروب
تقودني
ويلفُّ خطوي هاتفٌ ليقول لي :
شدّ الرّحال ، أمامك الوجع المديدْ
أنت الشّريد ولم تكن في قبضة الأيّام غير
سحابة
نمْ في أمان اللّه واحلمْ مثلما
أسرجت يوماً جرحك الأبديّ
لكن كي تريدْ
هزّي سريري كي أنام لكي أريدْ
.....
يا هاتفاً :هلاّ يفيق الصّحو في
ليل تدثّره الخفايا باستطالات من الأسرارِ
لكنّ لم يزلْ يجثو كما الأوهامَ
في نبض الوريدْ
إن شئت أسرج من دمي خيلاً
وأوقدْ خطوةً نحو الينابيع النّقيّة في يدي
واسكب من الرّيحان كأس الطّيب
مشفوعاً بآيات السّلام وضحكة
أنتَ الشّهيد .... أنا الشّهيد
هزّي سريري كي أنامَ لكي أريدْ
مازالت الكلمات مثل أوصال الخريف
تناثرت فيها الحروفُ
وأينعت ثمّ انتشتْ واغرورقت بالبوح
آيات القصيدْ
هزّي سريري كي أنام وربّما
في عالم الأحلام يأتي البوح،
يكتبني نشيداً فوق أجنحة الكلام وربّما
أختطّ ذيّاك النّشيد ... أنا الشّهيدْ
كم كنت أحلمُ أن أطيرَ
وأن أسابق موكب الطّيب الّذي
ساكنته في داخلي
والآن أطوي ما تبقّى من جناحْ
وأبيت مثل يمامةٍ هجرتْ لفيف السّربِ
لكن لم أمتْ
ما زال في خطوي مسيلٌ من رياحْ
لم أهجر الأحلام بل أزكيت توقي
لاخضرار الأمنياتِ
لموسم يزجي تباشير الصّباحْ
.....
هذا المدى يصبو لأنغام
تمور الآن في صبح جديدْ
هزّي سريري كيَ أنامَ
ومضجعي زمنٌ وليدْ
تَعبٌ أنا ..ويلفُّ خطوي هاتفٌ ليقول لي :
شدّ الرّحال أمامك الوجع المديدْ
نم في أمان اللّه واحلمْ
مثلما أسرجت يوماً جرحك الأبديّ
لكن كي تريدْ
واجرع من الرّيحان كأس الطّيبِ
مشفوعاً بآيات السّلام
بدمعة
بل ضحكة
أنت الشّهيد ....أنا الشّهيدْ

أطيـــاف

•سميرة سامي عواد

قلوبهن هواء
أيها المحزون الأبدي
ويح خطاي أم ويح الدر
أيا هذا الحنين الحنون
الذي عطر الورود
وغسل المطر
وأهطل الودق
ليرخي الكون على نوافذه
ستائر النسيان
ليذهب صاحب الماء
الذي لم يسق العطش
سأسترد صوتي
المرتجف المخنوق
ولغتي الكسيرة المقوضة
الواقفة على تخوم الكلام
لأكتب على جدران الروح
وفي ردهات الشريان
بأحرف من شعاع
وينزل عن ليلي ذاك الحمل الثقيل
الذي لا يهدأ ولا أستريح
لتنبت الأيام بمهجتي ورداً وريحان
وأرتقي إلى مصاف الأحرار
ويلتئم ذاك الجرح الدافق
ويأتي الغد بدون عكاز
سيخرج الوهم الذي سمم دمي وأذابه
الساكن تحت جلدي
من الوعي كينبوع رملي .

شَجرةُ اللَيلَك

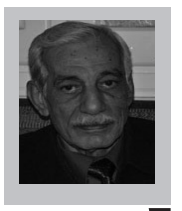

• عدنان كنفاني

- شجرة في مَنوَر البناء يا أم حسين.!؟

تسكن في قبو بناء فسيح كان يملكه أبو فايز، له منوَرٌ مفتوح الفضاء مُتنفّساً للبيت، يُدخل النسيم، وأشعة الشمس، والضوء، كما كان يردد أبوفايزوهو في سبيل عرضه للبيع، أو للإيجار عن طريق المكاتب العقارية المنتشرة في الحيّ.

- شجيرة ليلك أزرعها في ركن الحوض إلى جانب الحائط، تكبرّ سريعاً، نعرّشها فتظلّل، وزهرها يشرح الصدور.

أم حسين، بجسمها المكتنز، ووجهها المربّع، ومسحة طيبة تشمُ حتى أقل حركاتها، وحيدة في بيت كبير، ابنها الوحيد «حسين» سافر منذ سنوات إلى فنزويلا، تزوج، وأقام هناك، وزوجها الريفيّ البسيط«أبو حسين الحموي» وجدوه مقتولاً وملقى إلى جانب سيارته نصف نقل، ثبّت على جدران صندوقها المغلق بإحكام أنابيب كثيرة، تستمد من محرك خارجي مثبّت عليها هو الآخر قوّة تبريد، لتبريد محتواها من جبن وسمن ولحوم يشتريها من أرياف «حماة» مدينته، ومسقط رأسه، ويبيعها في المدينة، لا أحد يعرف من اعترض طريقه وهو عائد بتجارته،وتسربت إشاعة بأن عصابة من المجرمين اللصوص سطوّا على رزقه وماله وما يحمله، قاومهم بضراوة، لكنهم في النهاية قتلوه.

تهمس بلوعة:

- أنا أعرف من قتله.!

- ويلك يا أم حسين تعرفين.. تعرفين حقّاً.؟

تُطرق، وتنظر إلى الأرض، تمسح دمعات هاربة موجوعة تساقطت على الرغم منها..

- ما شاء الله، عم تكبر شجرة الليلك يا أم حسين.!

يطلقون عليها «المرصد»، تجلس على عتبة نافذة غرفتها المطلّة على ثلاثة أركان شوارع الحي، وراء الشبك «المنخل» الدقيق، وبالعتمة، لا أحد يراها، لكنها ترى وتسمع كل ما يجري في الحيّ، وفي الصباح تروي مشاهداتها وما سمعته، وأكثره فضائحي، لجارتها «أم ياسر الصفدي» المقيمة في شقّة في البناء فوق القبو الذي تملكه أم حسين، وتقيم فيه.

تبتسم بفرح فتبدو أسنانها الصفراء..

تعلّق على فروع شجرة الليلك الصغيرة تعاويذ، وحُجب، وخرزات زرق، تتحدث إليها بود ومحبة، تشرب قهوتها أمامها، ثم تصبّ ما بقي في فنجانها في حوض الشجرة.

أم ياسر تجلس على شرفة المطبخ المطلّة على المنور الذي تجلس فيه أم حسين، وحديث يطول قبل أن تتهيأ فيها أم حسين للزيارات اليومية والحديث «الفضائحي» عن مشاهداتها في ليلة الأمس.

تتطاير الذكريات لتحطّ في عوالم أخرى، لم تكن بعيدة، لكنها متوارية فقط وراء ضباب شكّله الوقت، يمكن أن يتبدد في لحظة الحقيقة.

- أغصان الليلكة ببيت جدك يابا ليّنة وحنونة.

منتصبة أمام باب الغرفة الخلفية في بيتهم الساكن على سفح جبل الجرمق، يطلّ على سهل خصيب، ملأه المزارعون خضرة زاهية، فبدا بألوانه المشعّة سجّادة أتقن الصانع رصف خيوطها، فبدت لوحةً باذخة لفنان موهوب.

تخرج أغصان شجرة الليلك وفروعها من صلب الدار، يستلقي بعضها على سطح الغرفة، ويزيّن بعضها بتزاحمه الأليف الأخضر الجدران، ويمضي بعضها ليعانق غصون الأشجار القريبة.

هي شجرة الليلك المقيمة في دار «الصفدي»، شامخة، ضخمة، معمّرة، تكاثفت أغصانها لتوفّر لبندقية «الصفدي» جد أم ياسر، مخبأً مثالياً.

يربطها على غصن في عبّها، ويطلقه، يعود الغصن للانتصاب يحمل كنزه، فتختفي البارودة عن الأنظار تماماً.

- يشدّ طرف الغصن الذي يعرفه جيداً، فينحني، يسلمهُ نفسه، وتسلمه البارودة نفسها.!

عشر ليرات ذهبية ثمن مارتينة انكليزية، استطاع جد أم ياسر الصفدي، أن يشتريها من حرّ ماله ليدافع عن بيته وأهله في فورة بحث الانكليز عن أي قطعة سلاح في يد العرب، لمصادرتها، ومعاقبة من يحملها أو يملكها، يعدّون العدّة لرفع حكم الانتداب عن البلاد، وتسليمها «نظيفة» طيّعة لليهود.

- يابا أنا لست محارباً، ولا أعرف عن الحروب شيئاً لكن العاقل من يقتني قطعة سلاح يدافع عن نفسه وبيته وقت الحاجة.

كل الجوار لا يعرفون عن «الصفدي» غير أنه رجل مسالم إلى حدّ أن لا شيء يمكن أن يبعده عن مسار حياته، وعمله الرتيب، وبيته، وأسرته الصغيرة، وتردده شبه اليومي على «زاوية حسام الدين بن محمد الصفدي» في قلب المدينة، يصلي في مسجدها، ويستمع كلما توفّر له الوقت إلى دروس الشيخ «يحيى».

شجرة الليلك، والمارتينة الانكليزية يعرفان حقيقته، ويحتفظان بسرّه.!

- شجرة الليلك كانت ضرّة ستك يابا.

ما فائدة شجرة لا تثمر في وقت تتنامى الحاجة فيه لأي شيء يسهم في تلبية طلبات الحياة الملحّة.؟

- لو نزرع مكانها شجرة تثمر، وليست كهذه عاقرا..

الدار كبيرة، «حوش»، ثلاث شجرات زيتون، وشجرة تين في ركن الحوش البعيد، وشجرة الليلك تلك.!

- يا حجة هذه الشجرة ستبقى في مكانها طول ما أنا حيّ.

يدير ظهره ويردد بصوت خافت:

- لمّا أموت تصرفوا كما تريدون.

في كل شهر تموز من أشهر السنة، تطلق الليالك أكمامها، زهور سخيّة وردية اللون، تصبّ كما القناديل سحراً ونداوة، يجلس "الصفدي" بفيء ليلكته في الظهائر المحرقة، يرش الأرض حولها بالماء، ويستلقي على أريكة نقلها خصيصاً إلى القرب منها.. ثم يسبح في عالم لا يراه إلا هو، في غابة من وريقات خضراء تتدلّى من أغصان ليّنة، وتطفح بالزهر الجميل، بينما تتوارى "المارتينة"، عروسه الدافئة بين كثافة الأغصان.

- الليلكة بشّرت يا أم ياسر..

كؤوس الزهيرات الوردية تعانق حلم أم حسين، تلمسها، تقرّبها من أنفها علّها تشمّ عنها بريق عطر، لكنها تنحني على وجنتيها برفق، وتعبّر عن رقيق حريرها.

- يرحمك الله يا أبو حسين...

ترفع كفيّها إلى السماء:

- أولاد عمه قتلوه.. أولاد عمه يا أم ياسر من لحمه ودمه.!

دموع دافئة، يمتصّها وجهها المُشرّح بخطوط الزمن، تجفُّ قبل أن تسقط، ترفع رأسها، تقتلع ابتسامة باردة من فرح تحاول أن تصطنعُه، وتنظر إلى أم ياسر، في اللحظة نفسها، تتشارك السيدتان في موجة بكاء صامت..

- لقد رفض مراراً أن يحمل في سيارته "ممنوعات" ويأتي بها إلى العاصمة، لا أعرف ما هي، لكنه وكما كان يقول لي "ممنوعات".

أم ياسر لم تتوقف، حتى بعد وفاة أم حسين، عن رعاية شجرة الليلك، ترشّها بالماء من فوق، وتحرص على أن ترويها، تجلس على كرسيّ وطيء في شرفة المطبخ، تحتسي قهوتها في كلّ صباح، وتتحدث إليها بود وحب، تروي لها حكايات، وتحدثها عن أم حسين..

- كان يحفر بالسكين خطوطاً على جذع الشجرة.!

الفجر يحثّ الخطوات ليكشف عن صباح جديد، "الصفدي" يدخل مهتاجاً إلى البيت يحاول ألا يصدر جلبة، يفتح باب الغرفة الخلفية، يشدّ الغصن الأمين من عبّ شجرة الليلك، عندما اقتحمت الدار ثلّة من الجنود الانكليز، ومعهم ممن يضعون القبعات السوداء على بروز رؤوسهم.

سكين توشك أن تحفر خطّاً جديداً على جذع الشجرة.!

أخمص المارتينة بيده، نصفها يتعلّق على غصن الشجرة، والنصف الآخر، تُسقطه رشقات رصاص متتالية، فيسقط معها، يشدّها إليه فتُسلمه نفسها، تستلقي هادئة على صدره المخضّب بالدماء.

انتزعوا البندقية عن صدره، وجرّوه خارج الدار.

بعد أيام، بعيد صلاة الفجر، الناس عائدون من المساجد، فجأة تتساقط عليهم قذائف من كل شكل ولون، فيتفرّقون أشتاتاً، ثم هجوم حاشد من عصابات اليهود، اقتحموا بيت "الصفدي"، عاثوا بالدار والأثاث فسادا وتخريباً، وقطعوا الأشجار الحزينة في حوش الدار، اجتثّوابحقد أعمى شجرة الليلك عن سطح الأرض، وجروّا من تبقى من بشر في الدار إلى خارجها، وأقاموا فيها.

جلبة غير عادية يتفتّق عنها صباح يوم من شهر أيلول، وأصوات رجال، وتلاطم أدوات غريبة.

أم ياسر تخرج فزعة إلى الشرفة:

- ماذا تفعلون.!؟

- لا يعنيك الأمر يا امرأة..

حسين، الذي عاد من كاركاس أياماً معدودة ليحصّل الإرث المتبقّي من أبويه، وليمسح آخر أثر يربطه بالوطن، باع البيت إلى شركة هندسية ستقلب القبو إلى مكاتب.

"المنوَر" المشرع للسماء مكاناً مثالياً كمتنفّس للموظفين في ساعات الفراغ.

يقطعون شجرة الليلك:

- احفروا جيداً لاقتلاع جذورها كي لا تطلق منه جديداً، وصبّوا فوقها إسمنتا وارصفوها..

حفروا عميقاً.. عميقاً جداً حتى وصلوا إلى أساسات البناء، جذور الليلكة تتمسّك بالأساس بشراسة، تعانقه باستماتة وقوّة، لكنهم قطّعوها، ومسحوا أثرها.

أم ياسر تغطي رأسها بوشاح أبيض، وتنشج بصمت.

- عندما غادرنا حوش جدّك "الصفدي" يابا، رأيت بعينيّ، عدداً من البتلات الليلكية تشق سطح التربة، مكان الشجرة الشهيدة، وتخرج إلى النور.

مصيدة البرامج الإعلامية

المواطن الصحفي (أنموذجا)

•د. مأمون الجنان

نواجه اليوم تساؤلات عدة إزاء تعاظم أهمية الصورة في ظل الثورة الهائلة في وسائل الاتصال والتكنولوجيا حول تأثير الإعلام بشكل عام والصحافة بشكل خاص وذلك في بعض القضايا، خاصة بعدما رزحت وسائل الإعلام المختلفة تحت وطأة الضغط والتوتر والتنافس فيما بينها، في غياب أسلوب نقل الخبر وإقناع المتلقي بصحة المعلومات، على حساب الحقيقة والمعلومة الصادقة الموثقة التي هي دعامة البناء الخبري وعنوانها.

والتضارب هذا ولّد تفاوتا في الأخبار، بعد فقدان القدرة على التمييز بين الخبر الصحيح والكاذب، ما أدى الى فوضى في الأخبار المتلاحقة أفقدت المتلقي القدرة على التركيز، لكثرة تشابك المعلومات، وبالتالي إلى انخفاض مستوى صحة الخبر ومصادره، فضلا عن المتابعة كنتيجة طبيعية جراء زخم تلك المعلومات.

في ظل هذا الواقع اشتعل المشهد الإعلامي بالصور الزائفة والتضارب في الأخبار، بعد ممارسة العديد من الوسائل الإعلامية بخبث شديد إلى تغليف الأخبار بأقنعة زائفة مشوهة مستعارة تلعب على وتر الشعارات وهموم الناس.

وتعددت هذه الأساليب الإعلامية:

(كالتقارير الإخبارية، ونشرات الأخبار، والبرامج الحوارية)

التي تقوم بمجملها على أساليب علم النفس الإعلامي مع القدرة على التلاعب بالألفاظ واستخدام كلمات وعبارات مقنعة لكنها غير واقعية من أجل النفوذ إلى العقل والتأثير في لاوعي المشاهد وعلى اهتماماته ورغباته، ثم توجيهها وفق الهدف المطلوب.

بينما نجد أن هذا المارد الإعلامي بات يستخدم غاية ما توصلت إليه العلوم الإنسانية من نظريات دون أدنى شعور بتأنيب الضمير أو رادع من خُلق أو استحياء أو ميثاق جامع للعمل الإعلامي، ومن اللافت في الأمر أن قضايا:

(الحريات، والفقر وأزمات البطالة، والأبنية العشوائية، والتسول، وأطفال الشوارع وغلاء الأسعار، وتزايد نسبة العنوسة، والطلاق، وتدني نسبة الأجور غابت تماما عن المشهد الإعلامي).

لذلك فقد اعتمدت بعض وسائل الإعلام من اجل تحقيق أرباح أكبر على التلاعب بالتناقضات الاجتماعية وتطلعت فقط إلى شد الجمهور واستقطاب واستمالة عواطف الناس، مع افتقار هذه الوسائل إلى الجانب العلمي في البحث الاستقصائي والى ضعف الأدلة التي تؤكد صحة المعلومات التي تبثها من اجل التحكم بالمتلقي وجذبه تحت عناوين كثيرة.

وتشير الإحصاءات إلى أن شبكات التواصل الاجتماعي أصبحت تضم مليارات المستخدمين حول العالم، فتجلت بذلك ظاهرة «المواطن الصحفي» بعدما أن اجتاحت منطقة الشرق الأوسط ما اصطلح على تسميته بـ (الثورات) وبات «المواطن الصحفي» صانعا لهذه الأحداث بل ومشاركا فيها، فهو يصورها ويكتب عنها ويرسل ما يصوره أو يكتبه إلى المواقع الالكترونية التي باتت ركنا رديفا إن لم نقل أساسيا يتصدر أجندة الصحافة بصرف النظر عن طبيعة المعالجة أو صحتها.

فحققت بذلك هذه المواقع نتائج مذهلة في ظل ما يجري على الأرض حيث باتت الأفلام الوثائقية القصيرة تضاهي في أهميتها صناعة السينما، وأصبح «المواطن الصحفي» مجرد ناقلا للأحداث مستعيرا للصورة بعيدا عما تحمله من مفردات مثل: (يوميات (الثوار)، المعارضين المعتدلين، المجموعات الإرهابية، الجمعات، المندسين، شاهد عيان، الديمقراطية، ومصطلحات وعناوين ونماذج متعددة) تم توجيهها سياسيا متأثرة ببوصلة رأس المال والإيديولوجيا التي تقف وراء الجهة المالكة لأغلب المواقع الالكترونية كما عبّر «ميلتون فريدمان» بقوله: (إن تحقيق الأرباح هو الجوهر الحقيقي للديمقراطية).

ومن المتوقع أن يتعاظم استمرار وتمدد هذه الظاهرة مع توسع قاعدة مستخدمي مختلف شبكات التواصل الاجتماعي حول العالم، مع التطويرات والتحسينات التي تجريها هذه الشبكات على خدماتها ما يعزز انتشار شبكات الانترنت ذات المدى العريض فضلا عن السرعة العالية.

إضافة للانتشار الكبير للهواتف الذكية والتسهيلات التي تتيح للمستخدم استعمال الإنترنت بصورة وبشكل مختلف مثال: موقع (اليوتيوب) لتزداد الصورة تشويها وبشاعة وكثافة بعد تعاظم المسخ وتمزيق الواقع الذي يطال كل صوت عقلاني حر.

وهكذا نجد ان ظاهرة مصيدة «المواطن الصحفي» تفرض نفسها على قضية التمدد في الفضاء الإعلامي إذا ما أخذنا في الاعتبار ان الوطن العربي أكثر سكانه من الشباب تحت سن 25 سنة يشكلون ما بين 35-45 ٪ وبالتالي غالبية مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي من الشباب بما في ذلك حوالي 17مليون من مستخدمي «فيسبوك» ومائتين ألف حسابات «تويتر» وأربعمائة ألف مدون، فضلا على خدمات الصور التي توفرها محركات البحث وبخاصة «غوغل» وكل ذلك بحسب تقديرات مجموعة المستشارين العرب.

تُبنى الصورة الإعلامية على المرتكزات والثوابت للواقع الإنساني، لكن تبرز أبعاد التشويه بالتركيز على أنماط تُغيّب الرؤية الصحيحة وبخاصة إن ترددت وتكررت بشكل مستمر في أكثر من مكان وقدمها أكثر من شخص في وقت معين وبشكل متناغم ومدروس، فالهدف من الإعلام كان وما زال إيصال المعلومة الصادقة والموثقة والاشتغال بهموم الناس.

لكن أصبحت وسائل الإعلام بعيدة كل البعد عن المعايير الميثاقية الناظمة للعمل الإعلامي، بل غدت في بعض الأحيان تُوجّه أسلوب التغطية بشكل مثير للجدل يؤسس لأجواء من التوتر والغرائزية بعد جمع المادة مع ما تتضمنه من بيانات ومعلومات وأراء تتعلق بالموضوع المثار، ثم يعاد صياغتها بطريقة (السرد الروائي) الذي يتم من خلاله بناء قصة من الخيال قد يكون فيها شيئا بسيطا من الصحة إلا أن الكاتب يزاوج فيما بينهما ويغلف الحقيقة بغية الوصول إلى وجهة نظر معينة عبر سياق الأحداث لتصب في الخانة التي يريد الوصول إليها.

قد ينخدع المشاهد العادي بجاذبية أو (كاريزما) مقدم البرامج أو بريق ضيوفه دون أن يسأل نفسه من:

(المموّل؟ ولماذا؟ ولصالح من؟ وما الهدف؟)

لا سيما أن تكلفة إنشاء أي قناة والاستمرار في تقديم برامجها يكلف الملايين وهو ما يجعل شُبهَة التشكيك منطقية في النوايا الحقيقية للقائمين على الفضائيات أو المواقع الاليكترونية ولا تبعد في أغلب الأحيان عن أجندات ملوثة خبيثة ما قبل وما بعد التأسيس.

لقد حرصت بعض الوسائل الإعلامية والمواقع الاليكترونية ضمن سياق حملات التشويه على الاستفادة من الشخصيات اللامعة لخداع الكثير من البسطاء، فهم لا يتورّعون عن تقديم بعض الآراء في قوالب فكرية مصطنعة فضلا عن تقديمها تحت مسميات أخرى:

(الباحث، المفكر، الخبير الاستراتيجي، الخبير في شؤون كذا، المحلل السياسي، أو المحلل العسكري)

وتكمن الخطورة هنا في بث أفكار مجافية للحقيقة مُغلفَة ببُعد ضبابي وفق رؤية مغايرة للواقع بألسنة محلية وأسماء مقبولة ومعروفة لتؤثر في المزاج الشعبي، لذلك من المهم بمكان الانتباه جيدا لمضمون الرسالة الموجهة وما يصاحبها من فنون كفيلة بالقيام بالعصف الذهني للحواس، حيث أن سماع موسيقى حزينة في خلفية الحديث مثلا تجعل مفهوم الكلام مختلفا تماما عما لو كانت هذه الموسيقى مرحة أو رنانة.

يتشكّل الميثاق الإعلامي من أخلاقيات:

(الأمانة، والمصداقية، والدقة، والموضوعية، والحيادية، والمسؤولية)

فمن دونها تفقد هذه الوسائل دورها المؤثر والتفاعلي في رسم الصورة الحقيقية للواقع العربي المتهالك والمتشظي، لكن دأبت معظم وسائل الإعلام على ممارسة التخويف والشيطنة لاستلاب الحواس وجعل الأفكار متذبذبة ليسهل اصطيادها وتصبح بذلك هدفا يثري إحدى حلقاتها أو مشاريعها بشكل أكثر استثماراً.

لسنا بصدد إماطة اللثام عن فنون وأساليب التضليل الإعلامي بعمومه، فهذا بحاجة إلى دراسات كبرى، زائد ورشات تعمل كخلية نحل لسرعة تطور أساليبه ومعداته فالإعلام الحديث أصبح صناعة غربية بجدارة توظفت فيها كل وسائل الاتصال الصناعية والتكنولوجية السمعية منها والبصرية.

وتوسّع وتعمّق فهمها وتطبيقها فأصبح كلُ مصطلح له مناهجه وقواعده ونظرياته السيكولوجية والاجتماعية والسياسيّة، إلى جانب الفلسفة التي تحرّك القائمين على وسائل الإعلام العالمي كما يلخص رتشارد سالنت الرئيس السابق لشبكة (سي بي إس) الإخبارية بقوله:

(إن مهمتنا: إعطاء الناس ليس ما يطلبون لكن ما نقرر نحن ما ينبغي أن يحصلوا عليه) فما من شك أن الإعلام بأجهزته الحديثة هو مؤثر قوي بعدما تطوّرت آلة الإعلام الجبارة تطوّرا رهيباً ولم تدع نظرية من نظريات العلوم الإنسانية أو وسيلة من وسائل العلوم التجريبية والتقنية إلاّ وظّفتها لصالحها بمهنية تامة، لذلك فقد تعاظم تأثير الإعلام في الجمهور عموما حتى بات كالخبز اليومي وإننا إذ نعلم أن جمار التناقضات المحلية ترقد تحت الرماد لينفخ فيها أعداء الأمة العربية والإسلامية دون أي وازع بتمزيق وحدة الصف، فضلا عما شنته من خلال الإعلام من حرب ظالمة ضد الدول والمواطن واتهمت كل من يلتزم بالتحليل الموضوعي بأنه من أبناء الدولة أو يعمل لصالحه (عواني) ضمن حملة الكراهية للدولة.

لقد أصبح المواطن السوري محاصراً بالإعلام المرئي والمسموع والمكتوب فلا يجد مصدراً واحداً ينقل الحقيقة، سواء من حيث الخبر الصحيح أم التحليل الموضوعي وأصبحت الكثير من الوسائل الإعلامية منصات للتضليل، والتلبيس والتزييف وقد احتكر عدد من الموتورين الظهور كل ليلة وانفسحت أمامهم الشاشات ولا زالت وسائلنا الإعلامية تدور في فلك الأساليب القديمة دون تقديم رؤى جديدة.

لكن الجدير ذكره أن الإعلام المحلي لا يُنكر صموده ووقوفه أمام أعتى جبابرة الإعلام الحديث لكن يبقى الطموح بالوصول للأفضل مبدأ مشروعا، ولن ولا نكون بمأمن من تأثيرات الإعلام وسنبقى في مأزق وتخلّف إذا لم نتقن استخدام الوسائل الإعلامية الحديثة.

لذا فمن الأهمية والرصانة بمكان بناء منظومة تراكم إعلامي ثقافي معرفي لدى شرائح المجتمع كي نحصنه من التضليل الإعلامي وهذا التحصين هو الذي يشكل على المدى البعيد حائط صد أمام أدوات الدعاية السوداء والرمادية.

لولا عِلاجُ الكتابة!

•وجيه حسن

يقول أحدهم:

"لولا علاجُ الكتابة، لكنتُ متّ بالحياة، وبكَى عليَّ الحَجر"!!

استناداً إلى هذا القول، واعتماداً عليه، فإنّ الكاتب الحقّ، الذي سهرَ واجتهد، وتعب وأبدع، وصرف جُلَّ وقته، وحريق أعصابه، بميدانِ الكتابةِ والرَّصد والتّحبير، "شعراً أو نثراً"، لهو جديرٌ بأنْ يكون إنساناً متفائلاً، و"تفاءَلوا بخير الكتابة تجدوه"! فهو يتفاءل من دون أسباب، ولا أيّة تطمينات، سوى تطمين "عمليّة الكتابة"، تلك التي تعالجُ وجع القلب، وغربة الرّوح، وقسوة النّزوح عنْ تربة الوطن.. هذه الفُيوضات الذاتية، وهاته المعاناة الداخلية، يعالجهما، ويمسحُ دمعاتهما، البَلْسمُ الشافي، والدَّوَاءُ المُعافي، الموجود في قنّينة صغيرة، يطلقون عليها بالعُرْف المكتبي والاجتماعي والمدرسي: "دواة الحبرَ"! هكذا يعتصم الكاتب والشاعر إذن بالقلم المُعافَى، سلاحاً قاطعاً لتحرّي أوجاعه الدّفينة، وأوجاع ناسه وجمهوره، بل وأوجاع مجتمعه ووطنه في وقت معاً! مستخدماً ورقاً: بياضُهَ بلون القطن، وندف الثلج.. ثمّ.. ثمّ يأتيه "شيطان" الكتابة والإبداع، ليعيش في الهواء الطلق، والصّحو المبدع، فيسوّد الصفحات، أو "يضيئها"، لكنه لا يزعم بأنه قادرٌ على اجتراح المعجزات، وأنّ بإمكانه فرض العدل والحقّ على الأرض، بمجرد كتابة قصة أو قصيدة، أو تحيّة صباحيّة، أو زاوية في جريدة، ليقول رأيه صريحاً في قضية وطنية، أو يتعرّض لمعضلة اجتماعية عويصة، يحيّر حلها وتفكيك "شيفراتها" الكثيرين، فهو يبعثر حروفه وأوجاعه على الورق، أو على "شاشة الحاسوب"، لا فرق، كما يبعثر عاشقٌ ولهان نبضات قلبه لامرأة لا تحبّه، وترفض رؤية سحنته الغبْراء، وثخانة وجهه! وبالفضاء، يقول لنفسه بلغة "المونولوج": "ربّما تعود الأشياء لمجرياتها، فينقشع وجه الفساد الباهظ، وتتطهّرُ القلوب منْ سوادها والأمراض، ويتسيّد الحبّ النظيف كلَّ الساحات، وتصفو النفوس منْ أدْرانها وغثاثتها، لتغدو نفوساً صافية كبحيرة زرقاء، مفرودة على بساط الأرض، أو كشرشف أزرق اللون، تدغدغهُ ريحٌ لَعُوب"! "أيّها الكاتبون، لا تقنطوا منْ رحمة اللّه"، فلولا الأمل لضاعَ العمل، فالأمل أكبرُ من اليأس! واليوم، بزحمة ما نحنُ في خضمّه منْ آلام وأوجاع وأعمال إرهابيّة مُتشنّعة، بسبب هذه الحرب الكونيّة الظالمة، التي فرضت على "وطننا السوري" المقاوم، على حين غفلة من عين الزمن، ليس أمامنا وأمامكم منْ خيار، سوى الاعتصام باللّه أوّلاً، والاعتماد على عقول وقلوب وسواعد الشرفاء من أهل الدِّيْرَة والوطن، الذين يذودون عن الأرض والعرْض، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، وما وقفوا له أرواحهم وعقولهم وأبدانهم وبطولاتهم بآن! والأسئلة المتكرّرة: كاتب النثر أو الشعر، بمَ يحتجّ اليوم إذن؟ بمَ يدافع؟ ما أسلحته؟ ما قوّته؟ ما موقفه من قضايا شعبه ووطنه؟ كيف يدافع؟ كيف يُبلسمُ أوجاعَ الناس وآلامهم، ويعيد إلى نفوسهم بارقات الأمل والأمان؟ أسئلةَ مُزْوبعة، لها وجعُ الرّيح بيوم شتائيٍّ عاصف! وأنت أيّها الأديب الهُمَام، بمَ تحتجّ؟ ما أسلحة احتجاجك؟ أبالقصيدة أو بالقصة؟ أبالكتابة أو بالكآبة؟ أبالضّعْف والانكفاء والمواربة، أو بماذا؟! أتكتب أسطراً الليلة، تصرّح منْ خلال مضمونها عنْ يأسك وخوفك ومجمل الأوجاع، حتى إذا دهمَكَ الصباح، مزّقت كلّ الأوراق، لأنّ الأمل لا يزال طائرَك الميمون؟! أيمكن أنْ تكون حقيقياً مع نفسك أوّلاً، كهذه الشمس الحقيقية السّاطعة، فتبوح لنا – نحن القرّاء - بأسرار الرّوح، بفيوض من الجرأة والاستشراف، منْ أجل خير الوطن وأناسيّه الشرفاء؟! ثم هل لكَ ألاّ تخدع نفسك وقلمك والضمير، فتكون مع وطنك الصّامد، لا ضدّه؟! وأنْ تكتب وتُحبّرَ بحَيْدَة، دون خوف، ولا اهتزاز، ولا تعصُّب؟ وبأنْ تكون صريحاً صادقاً مع نفسكَ أوّلاً، ومع القرّاء تالياً؟! وهاته أسئلة أخرى: بمَ تحتجُّ أيها الكاتب المقدام إذن؟ أبلسان رخو كئيب؟ أم بفَصاحة الموقف، وبلاغة البكاء؟ بكاء عينيك على عينيك، بكاءً قلبك على قلبك، بكاء طفل يتيم على أبيه الشّهيد؟ بكاء الجار على الجار؟ بكاء الوطن على الوطن؟! اخرج أيّها الكاتب المُجَلّي، اخرج من كهفك، من بيتك، من غربتك، من برْجك العاجيّ، اخرج إلى النوافذ، إلى الأبواب، إلى الشرفات، إلى الناس، إلى الحياة، إلى الأسواق، إلى أرض الواقع، لا تكنْ إمّعةً أو مُتقوقعاً أو فاتراً أو "خارجاً عنْ نصّ الوطن"، فالحياة ترفض التقوقع، تلفظه، اخرج أيها الحزين والوحيد والغريب والمنفي، إلى وهج الشّرفات، لا تعشْ في بطن الظلام، مع خفافيش الليل، كنْ نورانيّا، فمَنْ يكره النّور سوى أعدائه؟ ومَنْ يهوى الظلم والإظلام؟ والظلام والظلاميين؟! "أنْ تُوقدَ شمعةً خيرٌ..."! إذن ينبغي على فئة الكتّاب بعامّة، ألاّ يهملوا شأن الأرض، وشأن الحياة، وشأن الإنسان، وشأن ما يجري فوق أرضنا الطّهور منْ أحداث جسام، بالغة الجراح والإيلام والقسوة! وألاّ يُترك الوقت بتمامه "للدّيناصورات المُسْتَعادَة، أو المُسْتولَدة"، التي تتعملق قاماتها خلسةً – ومن أسف - يوماً بعد يوم! فتغلق بثقلها وحجومها وحضورها الغثّ ضفافَ الشمس، وسنابلها الذهبيّة! وأنت أيّها الكاتب المجيد، أنت سيّدٌ وضمير، سيّدٌ على جمهور بغالبيته الأعمّ من الأحرار، وضميرٌ حيٌّ لوطن جريح، سيتعافى منْ محنته القاسية، بمشيئة اللّه، إنْ قريباً، وإنْ قريباً؟! "وإنّ غداً لناظره قريب"! أيها الكاتب الحقّ، من دون يَراعك وفكرك وتوهّجك، تقفرُ الأرضَ، يشحُّ فانوس الضياء! السؤال الأهمّ: أيمكنكَ أيها الكاتب العظيم، أنْ تكسف الطغاة بسلاح الكلمة، وقوّة القلم، ونقاوة القلب؟! أوْ وأنت تشدو بأغنية قديمة، في رقعة الورق الصغير، وأنتَ إلى جانب شمعة فصيحة، أو سراج مُنير! أوْ وأنت أمام "اللاب توب"، هذا الاختراع العلمي المشهود! أنت يا سيّد الكتابة، لستَ بحاجة اليوم، وفي كلّ يوم، إلى الكثير، لكأنّ فلسفتك تشير إلى أنك دائماً مُكْتف بالقليل، مُغْرَمٌ بالأشياء البسيطة، الجميلة، المثمرة.. وأنت أنت القنوع بما يأتيك منْ عَرَق الجبين، وكدْح السّنين!! واعلم أيّها القارىء العزيز، أنّ الكتابة الصادقة، تداوي عصبَ الرّوح، وتحفظ دمَك ودمي من الفساد والإفساد... وكفى!

الثورة الإيرانية..
قوة صاعدة لا تعرف التوقف!!

•د. تركي صقر

لا يمكن فهم كنه أية ثورة وأسرار عظمتها وديمومة استمرار تقدمها دون وضعها في سياقها التاريخي ومعرفة الظروف التي رافقتها وأحاطت بنشأتها ومعروف أن الثورة الإسلامية الإيرانية جاءت داخليا بعد معاناة شديدة ومخاض عسير عاشه الشعب الإيراني وجاءت إقليميا في توقيت حساس للغاية حيث كانت المنطقة تمر بمنعطف حاد بالنسبة لقضية العرب والمسلمين المركزية قضية فلسطين حيث برزت جملة من التعقيدات في الصراع (العربي - الإسرائيلي)، تمخضت عبر خروج مصر اكبر بلد عربي من حلبة الصراع مكبلة باتفاقية كامب ديفيد ومعلنا نظامها آنذاك انقلابه على شعار «حرب التحرير واستبداله بحرب التحريك».

أما دوليا فقد جاءت ثورة الشعب الإيراني بقيادة الإمام الخميني في زمن كان شاهداً على حدة الصراع (الأميركي - السوفيتي) الذي شطر دول العالم بشماله وجنوبه في انقسام عامودي، متخندقا خلف عقليات متصارعة وإيديولوجيات متناقضة شيوعية - اشتراكية ورأسمالية - ليبرالية، عندها ظهرت الثورة الإسلامية الإيرانية رافعة شعار «لا شرقية ولا غربية بل جمهورية إسلامية»، ومتبنية إستراتيجيتين اثنتين هما :الأولى: انتهاج برنامج قصير الأمد لمواجهة العولمة بمفهومها الغربي القائم على النهب والثانية: تطبيق برنامج طويل الأمد لتضعيف العولمة الغربية وذلك بعرض وجه مشرف ومشرق للإسلام وأفكاره الحضارية وعلى عكس ما تفعله الوهابية اليوم باسم الإسلام من نشر للارهاب والتطرف والإجرام الدموي والتكفير مشوهة مبادئ الإسلام وقيمه الفاضلة.

ولعلنا لا نجانب الواقع إذا قلنا أن متلازمة القول والفعل والعلم والعمل كانت السمة الأبرز في مسيرة الثورة الإسلامية الإيرانية وسر نجاحاتها وانتصاراتها المتلاحقة خلال أعوامها الثمانية والثلاثين والتي كانت منهج حياة الإمام الخميني مفجر الثورة وقائدها وكانت سلاحه الأمضى في مواجهة التحديات الكبرى قبل انطلاق الثورة وبعد انطلاقها ولاسيما محاربة الاستبداد والاستكبار فالاستبداد الشاهنشاهي كان يوصف بأنه الأفظع في أواخر الخمسينيات من القرن العشرين وما كان من احد يتصور لقوة أن تتغلب عليه نتيجة تلاحمه العضوي مع قوى الاستكبار العالمي وعلى وجه الخصوص مع أمريكا القوة الأقوى في العالم .

ورغم أن تحديث إيران كان يقتضي إتباع نموذج عالمي للتنمية، نموذج مستوحى من الغرب المتطور إلا أن الثورة لم تشأ أن تقلد أحدا لنقل مجتمعها التقليدي إلى متطور وأصرت على تشكيكها بأسس التنمية الغربية وتفنيد حب الدنيا المفرط،والاعتماد على العوامل المادية وإغفال العوامل المعنوية والروحية وأكدت عدم الحاجة للنماذج الغربية في التنمية الاجتماعية وهي برفضها نظرية التطور المفتقر للحياة المعنوية، فتحت أمام البشرية آفاقاً جديدة تلبي ما لها من المتطلبات المادية والمعنوية معا .

لقد كان هذا بمثابة الأرضية الصلبة والمتينة التي أسست لرحلة إيران الطويلة وانتقالها من طور إلى أخر ومن مرحلة إلى أخرى ومرت أعوام كثيرة من الصبر والحصار والعمل الدؤوب انتقلت خلالها إيران من درك الدول التابعة والذيلية إلى مصاف الدول المتقدمة من خلال انجازاتها النووية والفضائية فارضة نفسها وبقوة أمام العدو والصديق دولة إقليمية عظمى، وعزز هذا الحضور انخراطها في الحرب على الإرهاب وخصوصاً في كل من سورية والعراق ومدها يد العون والدعم للمقاومات العربية وخصوصاً اللبنانية والفلسطينية قافزة فوق جدار الطائفية والمذهبية العفنة.

ولا يجادل احد بان الثورة الإيرانية بعد ثمانية وثلاثين عاما أضحت الرقم الأصعب في المنطقة والقوة الصاعدة التي لا تعرف التوقف ولا يستطيع احد عرقلة تقدمها ويعود الفضل في ذلك كله أنها اعتمدت على قدراتها الذاتية وابتعدت عن الاتكال على الآخرين وظهر ذلك جليا عندما سار التطور الاقتصادي في إيران في طريقه إلى الأمام رغم وجود بعض الموانع والعقبات مثل المقاطعة الاقتصادية وحرب الثمانية أعوام التي كان النظام العراقي السابق قد فرضها ضد الجمهورية الإسلامية في إيران، حيث كانت تلك الحرب الظالمة قد تسببت في خسارة قدرت بـ 1000 مليار دولار أو ما يعادل نفقات البلاد على مدى 70 عاماً.

على أية حال لم تقتصر منجزات الثورة في إيران على البعد الثقافي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي إنما شملت أيضاً البعد العسكري حيث شهدت إيران نقلة نوعية على صعيد تطوير الأسلحة لديها لا بل تجاوزت هذه الحقبة رغم الحصار وغاصت في صناعة الأسلحة كافة بمجهودها الذاتي كصناعة وتطوير الصواريخ الباليستية والأقمار الاصطناعية وصناعة المدرعات والسفن الحربية والغواصات والمقاتلات الجوية، بالإضافة إلى صناعة الرادارات والدفاعات الجوية وصولاً إلى امتلاك تقنية التشويش الإلكتروني المتطورة، لتصل الجمهورية الإسلامية بفضل ثورتها الصادقة إلى مرحلة الجهوزية لخوض الحروب الإلكترونية وعلى نطاق واسع ومثال على ذلك عملية السيطرة وإنزال الطائرة الأميركية التجسسية العام الفائت .

> ذروة إنجازات الثورة الإيرانية سياسيا فكانت مواجهة المشروع الصهيو-أمريكي في المنطقة

وبالتوازي مع اعتماد الثورة على القدرات الذاتية اعتمدت على رأي الشعب اعتمادا كليا في إدارة البلاد من خلال ديمقراطية من نوع جديد هي الديمقراطية الدينية التي أثبتت نجاعتها في استقرار السلطة وتوفير الأمن والسلامة للمجتمع وجاءت الانتخابات في مستوياتها المختلفة المحلية والتشريعية والرئاسية في أدوارها المنتظمة وأوقاتها الثابتة لتقدم نموذجا ناجحا للعالم يعتمد رأي الشعب في شرعية النظام السياسي؛ ومن هذا المنطلق بالذات كان اعتماد الاستفتاء العام لشرعية مبدأ الثورة الإسلامية ليس عملاً شجاعاً فحسب، بل فكرة فاقت الديمقراطية الغربية .

أما ذروة إنجازات الثورة الإيرانية سياسيا فكانت مواجهة المشروع الصهيو-أمريكي في المنطقة، حيث أنعشت جهودها الكبيرة الآمال بإمكانية الانتصار عليه وإسقاط «أسطورة» قوة العدو الإسرائيلي «التي لا تقهر» بعد عقود من الإحباط وانسداد الآفاق أمام العرب والمسلمين، وإذا كان حرياً أن ينسب الفضل لأصحابه ، فيعود الفضل في ترسيخ محور المقاومة ومنظومة المقاومة للثورة الإيرانية، حيث بات هذا المحور القوة الأمضى لقهر العدو الغاصب، في وقت كادت فيه القضية الفلسطينية تضيع في متاهات «كامب ديفيد» و«أوسلو» و«وادي عربة» وخضم التحالفات السرية بين العدو الإسرائيلي وأنظمة العمالة العربية ولاسيما الخليجية منها ، وإن الفعل المقاوم الممتد من ايران إلى سورية مروراً بالعراق ولبنان وغزة غدا اليوم الصخرة الصلبة التي تتحطم عليها مشاريع مشغلي الأدوات الإرهابية وصارت من الماضي أحلام التكفيريين والظلاميين في إسقاط دمشق عاصمة جبهة المقاومة المنيعة التي لا تلين .

الانتفاضة الفلسطينية..
في سطور أدب المقاومة

•فضيل حلمي عبد الله

بين أيدينا نصاً يذهب بنا نحو أفق نكتسب منه شذرات ثقافية مقتضبة في محراب أدب الحياة، وقد استطاع الكاتب من خلال نصه هذا أن يشكل بمثابة مشروع مقاوم لمختلف شرائح المجتمع المدني، و يشكل للقارئ مشكاة تنير أمام روحه ما خفي في ظلمة اللغة، فحين يشرق فجر الحرية وشمس الاستقلال وتعدو ما توارى خلف إيقاع التأمل، ليستعيد الكاتب من جراحه إشراقاً روحيا داخلي وهناك صورة جمالية خيالية في ثنايا الوجدان..

أنها متعة ذهنية حقيقية في مشروعنا هذا، فهذا النص الذي بين أيدينا هو إبداع والمبدع ليس له مراحل متقدمة أو متأخرة بل تؤته ثمارها في مناحي الحياة كافة، مما يجعل مشروع الكاتب أن يحاور الآخرين بصفة مدافع عن حقيقة وعن حق ذات طابع أدبي أخلاقي إنساني يتيح له الإبحار في حديث الذات دون الخروج عن قواعد الأدب ومبادئه الذي عمل من أجله، وكذلك تهبه فرصة محاورة الآخرين بذهنية منفتحة إلى جانب تمتعه بخصلة مشروعه الوطني الفلسطيني العربي القوم المقاوم..

إن السطور التي وردت في هذا النص الذي أمامنا هو مشروع الأديب الدكتور المبدع المقاوم حسن حميد، وهو عالم بحد ذاته لأنه إنسان يشكل طموح كل فرد من أفراد نسيج المجتمع الفلسطيني العام المقاوم..

تماما فهو يحمل ماضي الحضارة وحاضر المستقبل باعتباره كلمة واردة من تاريخ التحدي البشرية، على هذا النحو سنقف أمام نص أدبي يحمل تلقائية التراث الوطني الفلسطيني وعمله النضالي الكفاحي المقاوم وهويته الأدبية والفكرية والإبداعية معاً..

حناء من نوع آخر

أبداً،

لم يكن يخطر ببال الصحفي السويدي (جان لوبان) أن يرى كل الذي رآه في البيوت الفلسطينية.

لقد جاء إلى الضفة الفلسطينية .. لتغطية أخبار الانتفاضة وبدا من يومه الأول متلهفاً لكتابة رسالة لصديقته (روزا).. التي تركها في وطنه، لكن الأحداث والمرئيات .. جعلته لوقت طويل يحجم عن الكتابة.

لقد جال في بيوت فلسطينية كثيرة، وسجل انطباعات ومشاهدات كثيرة أيضاً، وبعد ثلاثة شهور على وجوده كتب الرسالة التالية لصديقته روزا:

حين تدخلين بيتاً فلسطينيا، هنا، تشعرين بالأمان.. فالحياة - رغم ما يجري - ماضية إلى رغدها، والناس ماضون فيها.. رغم آلامهم الكثيرة، الموجعة !!

أول ما تشهدينه في البيت الفلسطيني مشاتل الحبق، والنعناع، والسجاد،و تلك الحيطان المزينة بالصور ! و حين تسألين عن أصحابها، يقولون لك :

هذا جدي، وهذا .. شهيد أسرتنا الأول، وهذا الثاني: ويقصون عليك قصصهم !.

هنا، يا روزا، يند أن تجدي بيتاً فلسطينياً، حيطانه غير قابضة على صور شهدائه !

إن الفلسطينيين يعيشون ليل نهار مع أمواتهم!

النساء، في النهار يطبخن، ويهدهدن أطفالهن، ويتكلمن في السياسة ويصنعن المقالع، و "الشالات" الفلسطينية! وفي المساء، يستقبلن أولادهن، والذين أمضوا نهارهم في قذف الدوريات الإسرائيلية بالحجارة، والزجاجات الحارقة،. يسألنهم عن التفاصيل الصغيرة جداً، التي مرت بهم خلال نهارهم الفارط..

كنت أرى الأمهات، وهن يمسحن أيدي أولادهن بمادة (الغليسرين) الرخيصة الثمن، أو بالزيت ! آه، يا روزا، ما أجمل أحاديث هؤلاء الأمهات لأبنائهن!

إحداهن، قالت لي:

(في ما مضى.. كنا نفعل هذا مع أولادنا حين نزوجهم، فنقوم بدهن أيديهم بالحناء.. لا بالغليسرين كما ترى.. الدنيا- يا بني – تغيرت كثيرا)

هنا، يا روزا، تحدث أشياء جميلة، سأحدثك عنها باستمرار. كاتبيني واسلمي لي وحدي. "جان لوبان".

لكن روزا، وبدل أن تكتب ليه، هيأت نفسها للسفر، وطارت إلى الضفة الفلسطينية..

لترى المخيمات والناس، والأمهات، وأولادهن، وطقوس الحناء الجديدة!

غير أنها، للأسف، منعت من دخول الضفة، ولم تر شيئاً. فقد نصحها "الخواجات" أن تذهب إلى البحر، فهناك سترى أشياء جميلة.. أما الضفة، ففيها ما لا يسر أبداً ! للان، ما تزال المخلوقة طي حيرتها.. لا تدري ماذا تفعل !..

عيون.. في ليلة شتاء مقمرة

• محمد هيثم جمعة

نصف ليل.. ونصف قمر

خوف تحرر من قفصه.. راح يقتحم الأماكن والعتمات.. يستلب من كل شيء حوله أكثر ما يخيف..

خلف النافذة عيون ترقب وقد ملئت رعباً..

بياض الثلج تحت ضوء ما يسمى زوراً – قمراً- انعكاسات أخيلة مع أغصان الأشجار المنجردة، وكأنها أشباح تسير في عتمة الليل.. ووميض البرق المتكسر يعكس داخل الكوخ ظلالاً موحشة، وصوت الرعد زمجرة غضبى؛ كل ذلك كان ترجمة صادقة لكلمة (رعب).

ريح تعوي.. صرير نوافذ وأبواب تحكي في ظلمة الليل قصة الخوف القاتل المخيفة، طقطقة خشب اللزاب كل ذلك وأكثر.. جاء كأنه ترجمة لمشهد رعب عجز البشر عن فهم لغته لما عجزوا عن تأليفه.. فكان ضرورياً ترجمة حواره، فجاءت الترجمة مختزلة في عبارة واحدة هي (الرعب القاتل).

××

بخفة ومن دون أن يشعر جيش الرعب المتكالب.. المتهالك.. المتعطش لشرب حياة قلوب كأنها قلوب عصافير تخفق بشدة تشبه الموت بل أشد، انسلت تلك العيون الصغيرة خلف النافذة، تخفي نفسها خلف لحافها الصوفي الأبيض..

قليل من الدفء تسرب إلى تلك المختبئة.. قليل من الدفء جعلها تريح رأسها الصغير المثقل بجيوش الخوف والرعب الزاحفة..

تشتد الريح.. يزداد عويلها.. حركة الغيوم السريعة في السماء تعطي ظلالاً تنعكس عتمة تشتد حيناً وتتراخى حيناً مثل وحش يحوم حول الكوخ..

الأشجار التي كانت تبدو من بعيد تحت الثلج المتراكم.. لم تعد كذلك حتى هذه استشرست في هذا المشهد.

كيس من الحطب كان معلقاً في خشب السقف خارج النافذة تطايرت عيدانه.. ارتطمت بكل شيء مرت به، فجاءت الركن السادس من أركان هذا المشهد المخيف – موسيقا تصويرية – ألهبت القصة خوفاً وقلقاً ورعباً..

في الداخل هناك.. كادت قلوب تنخلع من أقفاصها.. وأنفاس حبست حتى أوشكت على الانقطاع..

××

تحت لحافها الأبيض.. في مخبئها المكشوف ذاك.. وبحنان ذاك الدفء المتسلل من زمهرير الخوف والهمجية الشتوية.. تقوقعت على نفسها مرة أخرى.. خوف شديد ولد قليلاً من الهدوء.. للحظة زارها نعاس داعب أجفانها.. هدأ من نبضات قلبها الدفاق.

شعرت أن هذا الذي تعيشه حلم.. وفي الصباح ستورويه لوالدتها وأخواتها.. وكم كانت تتمنى أن ترويه لوالدها.. لكنه في حلم ليلة من ليالي العمر العبثي اختفى بين شخصيات ذلك الحلم.. وحتى الآن لم يعد..

هدوء أحاط بكل شيء.. سكون تردد صفيراً حاداً اخترق أذنيها الصغيرتين.. خصلة ذهبية تسللت إلى ذلك الحضن الحنون الذي اختبأت فيه ليلتها.. أيقظتها.. لكن أيقظت خوفها قبلاً.

تتنبه.. شيء جديد لم يكن بالأمس.. رائحة لم تعهدها من قبل.. حركت قليلاً.. تكشفت أمامها يد لطالما قبلتها، ترى طرفها من تحت ذلك الغطاء، امتلأ قلبها فرحاً.. إنها يد أمها..

تشرق على ثغرها ابتسامة بريئة تقف منتصبة على قدميها.. تفاجأت.. شهقت شهقة رقيقة خائفة بددت حجب الصمت الرهيب..

لحافها الأبيض.. لم يعد أبيض.. ولن يعود..

يد أمها التي لطالما شعرت بحنانها ولمساتها الندية.. كانت لزجة جداً..

نظرة أمها التي كانت تشع حناناً ورقة.. أضحت من غير روح..

اختنقت بين شفتيها.. وإلى الأبد.. (كلمة أمي).. جمدت في مكانها من دون حراك.. نعم.. إنه الحلم..

الحلم الذي عاشته طوال الليل.. على أمل أنها ستورويه في الصباح..

للأسف..

لم يكن أبداً حلماً..

عندما تأتي مُتأخرا

• تماضر كريم

عندما تأتي مُتأخرا ...
مثلَ الفجر ...
بعد اكتمال خيوطه البيض ....
مُتعجّلاً ...
مثل قدّيس فاتتْهُ الصلاة ....
عندما تمرُّ بعينيك ...
على الكادحين ، والفقراء .....
عندما تأتي مضيئا ، بهيّا نقيا ...
كشهاب صاعد في السماء ....
و صلباً مثلَ ضَريح عراقي حزين ....
عندما تمسكُ بكفّي و تسألُني :
من أين و إلى أين ؟
حينها أعرف أنّنا غريبان ....
مثل زهرة النيل على ضفاف الفرات ....
مثلَ قلب عليٍّ بعدَ وفاة ،
مُحَمّد و فاطمة .....
مثلَ الطيبين في مدينتنا الحالمة .....
عندما تأتي .....
مُثقَلا بالصمت ....
والكلام الكثير....

أعرفُ أن الوضع ،
صار خطيراً ....
وأنَّ غُربتنا دائمة !
هل تعلمون

هل تعلمون ؟
أنّكُم طيبون ...
مثلَ ملح الأرض
و ملح البحر ...
و ملحَ رغيفنا المعجون ...
بطيبة أمّهاتنا الحانيات ....
الباكيات على الراحلين ...
مثل ملح العيون ...
المثقلة بالشوق والحنين ....
هل تعلمون ؟
أنّكُم من حيث لا تشعرون .....
في القلب ...
و في الوجدان ...
مثلَ نخلة نبتتْ في العراق ....
تناوشتْها القذائف والأشواق ...

تُحيطُ بها الألغام ...
و بقايا رفات الجنود ....
و تنبتون .....
مثلَ زيتونة في حيفا ....
بهيّة .... نقيّة .....دامعة العيون ....
تنتظرُ المهديَ كُلّ ليلة ....
تحلمُ بالحمائم ....
و المطر ....
و العصافير....
هل تعلمون ؟
آه لو تعلمون !
كم أنّكُم في خاطري تقفون ....
أيقونةً غاليةً ...
دافئةً ....
حنوناً عابقةً ....
مثلَ الهال ....
يفوح من شاي (الدواوين) ....
بشارةً لصبرنا...
لمجدنا ....
لنصرنا المبين .....

أرواد تتكلم

• محمد مخلص حمشو

البحر أمامي سيمفونية من الألوان ، وجزيرة أرواد كعروس تستلقي على أريكة تحيطها مظاهر الأبهة والعظمة، وباقة مناظر من أفانين الإبداع الإلهي، تتوزع ما بين الشمس الغاربة، وغيوم مطرزة الحواف بخيوط من ذهب، ومراكب صيادين، وسفن راسية .وبين متعة النظر ومهابة تاريخ أرواد يندفع المتأمل في استغراق تأملي صوفي. ويخال المرء معها كأن أرواد تخاطبه ويسمعها تقول : أنا أرواد تعويذة التاريخ لن أموت ستبقى مكانتي على قيد الحياة أبدا مجدا غابرا لم يخضع لذل أو قهر، ربما يهدم معول الزمن الصروح والقصور والقلاع وتصبح أطلالا. ربما يخطف الموت الأجساد . لكن صدى أصوات أبنائي سيبقى ويدوم يتردد رجعه هنا وهناك ... في الفضاء ..

ومع موج البحر .ولمعان البرق وزئير العواصف ليخلق حراكا يسترجع فيه صور تاريخي وأصوات ملوكي وبحارتي . أنا المملكة الفينيقية سيدة بحار المتوسط . أنا عجيبة الدهر، أنا التاريخ يتكلم حتى في صمته . وتنبعث قشعريرة تسري في جسدي ، ولسان قلبي يردد أنت حلوة سورية. قلبي تركته فيك أرواد أما يكفيك....

-2-

من وحي مناظر الطبيعة في فصل الخريف التي تشكل في تعددها وتنوعها سيمفونية رائعة للحواس والفكر والروح....

صباحات الخريف:

كم تأسرني رؤية منظر تساقط أوراق الشجر في فصل الخريف وسماع خشخشتها، وكم أهيم بصوت هسيسها خاصة وأنا أطؤها بأقدامي، أسير فوق دروب الحدائق وأرصفة الشوارع والطرقات . وكم تذوب نفسي رقة وإحساسا في منظر تطاير أوراق الشجر عندما تكنسها رياح شديدة كأنما هي رف عصافير تنفر فجأة من شيء أفزعها....

وفي لحظات سكون الليل تتهافت على قلبي المحمل بأوجاع وطني الذي مازال مصلوبا وجراحه مازالت تنزف دما ويحضر من تلافيف الذاكرة ومخبآت العمر وماضي السنين صورة صبية روسية جميلة رأيتها ذات خريف في أوديسا على البحر الأسود في حديقة بوشكين قرب الأوبرا وقد أحاطت رأسها بقضيب من غصن شجرة كتاج حوى أوراقا تضحك ألوانه بين الأصفر والأرجواني والأحمر القرمزي والأخضر .كانت تبدو لناظرها كحورية بحر خرجت من أسطر كتبت حكايات خرافية .تتنقل بين دروب الحديقة كفراشة وهي تجمع أوراق الخريف المتساقطة تضمها في باقة بديعة الألوان، وهي تمرح وتضحك وصديقها الشاب يتبعها بنظراته. وصادف أن كان تمثال بوشكين إمامي وكأنما يقرأ لي من شعره عن الخريف فتهزني كلماته وكأنما تجسد نبضات قلبي إذ يقول « أيها الخريف أي غرابة فيك تجعلك تشبهني بحزنك .كما تشبهني بيوم فرحي « وتسيل دمعاتُ على خدي قسرا عني لأن في ذكرى ذاك المنظر أثر لا يمكن أن يتكرر حيث تحلق فيه روح المرء فيعي ذاته وكأنما ينظر في عمق مرآة ...

وأقول حقا إن في صباحات الخريف نبعَ إلهام وإبداع وفرصة مواتية لبث العواطف الأدبية وذاك بما يعرضه من لوحات تتبدى أمام العيون وقد رَسمت بفرشاة الرسم الإلهي كرنفالا من الألوان والتشكيلات في زخم نباتي وشجري ينحسر فيها الاخضرار غالبا وتذبل الزهور لكنه في بعض منها تتوهج وتزهو وكأنما تقول ليس الخريف فصل الكآبة والحزن بل هو فصل الجمال والتدرج الخرافي في الألوان والتجدّد..

إن لفصل الخريف فلسفة يقرأها البعض مثل جبران خليل جبران إذ يقول « مات الصيف الجميل ليحيا الخريف الكئيب وبين ذلك الموت وهذه الحياة يقف الزمن مشيرا بعينيه نحو غصن عرّته الرياح وقصفته العاصفة قائلا : هذا رمز أيامك أيها الانسان فتأمله جيدا ،، يقظة فرح محزن ،،،فنزاع ..فنوم عميق ..»

وما أشبه الفصول الأربع بحياة البشر ودورة الحياة على رأي شكسبير فالشتاء ولادة ..والصيف نضوج وعطاء ..والربيع صبا وشباب ... والخريف فصل اليأس و الحزن لكن بعضهم يرى فيه ربيع العمر وزهوه قد وليا إلى غير رجعة.... فوجب التنبيه والاستعداد للخروج من قائمة الحياة . وتمر في السماء غيوم دكناء قاتمه. ويبدو من بعيد روض وقد مات وعلى الأفق ترتسم سحابات لكنها تنسحب بإيقاع موسيقى جنائزية فألوان الطبيعة تحتضر ، وأحلامنا باتت مذبوحة ..وخلجات النفس الإنسانية تهمس بشفاه مرتجفة في الأعماق وخاصة بمن وصل به مركب العمر الى الضفة الثانية . هل صحيح أن في الخريف ضياعا وموتا وأفولا ونقطة مرور إلى الاستقرار والخلود والفردوس الموعود ؟!... وتحضرني زفرة حرى كوى لهيبها جوفي والمح أسراب طيور مهاجرة وتنهمر دموعي تسير دروبا على وجنتي لكني أردد لولا الخريف لما أطل الشتاء واقترب موعد ولادة الأرض، وفي الولادة سر تفتح الأزهار واخضرار الأرض وتلك سيرورة الحياة.

طالب عمران: تكمن رسالة أدب الخيال العلمي في دفع الإنسان للتفكير بمستقبل (٢/٢)

•حوار: محمد مروان مراد

× نهج جديد في الرواية العربية:

سألت: إذا كان هذا مفهوم أدب الخيال العلمي، فما هي الأهداف التي يطمح كتّاب هذا الأدب لبلوغها؟

- يسعى أدباء الخيال العلمي إلى سَن نهج جديد للرواية العربية كي تواكب مشاغل الإنسان المعاصر، وبالذات الإنسان العربي الذي لم يعُد ينعم بطيب العيش كما كان في السابق، ولم يعُد يأمل بحياة هانئة، يعمّ فيها الأمن والسلام، لقد أسعدته من قبل النّزعة الرومانسية، وجعلته يحلم بحياة عامرة بالحب والخير، ودفعته إلى تخيّل عالَم يسعى إلى المُثل، وينعم فيه بالسعادة والاطمئنان.

أما اليوم، والعالم على ما هو عليه، فلم يعُد الإنسان يعيش في راحة بال وهناء لقد خاب ظنّه في العلم الذي غيّر مساره، وصار مصدر رُعب للإنسانية جمعاء بما اخترعه وما يزال يخترعه من وسائل للموت، ومن أدوات للتدمير الشامل، لقتل الحياة، وإطفاء نور السعادة التي كان يحلم بها. فانكفأ على نفسه، وراح يتأمّل الكون وما يجري فيه، ويدرس الواقع وما يحدث فيه من مآس سبّبتها عنجهية أصحاب السلطة الذي استبدّ بهم الجبروت الجاحد إلى حد جعلهم يستلذّون بإشعال الحروب، ويتعمدون بثّ الفوضى بين الشعوب، ويسعون إلى التحكّم بمصير البشرية، والاستيلاء على ثروات البلدان.

إنّ الحلم بالغد الأفضل، وتخيّل ما سيؤول إليه الكون مستقبلاً من دمار حين حاد العلم عن مساره دفعا الكتّاب والروائيين باعتبارهم القلب النابض للإنسانية في كل مكان وزمان، إلى الكتابة للتعبير عن أحاسيسهم، ورفع أصواتهم عالياً، للتنبيه إلى ما يجري من حولهم، وإلى ما سيقع في الأزمنة المقبلة.

وينطلق الدكتور عمران للحديث عن ميّزات أدب الخيال العلمي فيقول:

يتميز هذا النمط من الأدب بخصوصية قد لا نجدها في غيره من أشكال الكتابة، وأعني بها البُعد الاستشرافي الكوابيسي بين الخيال والراهن، ويمكن قراءة هذا البُعد على أنه يحيل على جدلية مقاصد العلم وغاياته من ناحية، وعلى خيبة أمل في التطور المعاصر من ناحية أخرى، أصبح هذا الموضوع هو المميز الأكبر لأدب الخيال العلمي.. تتغذى خيبة الأمل هذه من الأزمات التي يمر بها العصر.. ولئن كان الخيال دافعاً للتأمّل في الكون، والتنبّؤ بما سيقع فيه من أحداث وما ستنجز فيه من اكتشافات فإنه أساس للإبداع وقراءة في ما وراء المألوف وتشوّف لعوالم أخرى في فضاء لا متناه وزمن غيبي لا محدود انطلاقاً من واقع مُعاش وتشوّف لآت مقبل.

ويعبّر الدكتور عمران عن أهمّية ما تحقق في ميدان أدب الخيال العلمي فيقول:

× أدب الخيال العلمي، هو اليوم الأدب الأكثر قراءة في أمريكا وأوروبا، ذلك لأنّ رسالته غدت قائمة على تنبيه الإنسان بما ينتظره من هموم، وتدفعه للتفكير في مستقبله، وفي مستقبل كوكب الأرض، وتلفت نظره إلى أنّ التقدّم العلمي الذي كان بالأمس مصدر أحلامنا، بات الآن يُزعجنا، وصار نقمة علينا، ويهدّد وجود الكائنات الحيّة على وجه الأرض.

> رواية «الأزمان المظلمة» بحق، أول عمل استشرافي في الوطن العربي، وكانت استبصاراته نوعاً من الرؤى والتنبؤات الكابوسية.

لقد اتّضح للعيان بعد الحربين العالميتين أنّ العلم الذي كان يبني حضارة الإنسان صار أداة تدمير شامل لم يعهد له التاريخ مثيلاً، وبات الإنسان المعاصر مهموماً، وراح يقرأ هذا اللون من الأدب، كما صار رجال الفكر والأدب بدورهم مهمومين، فسخّروا أقلامهم لتنبيه الإنسان إلى الأخطار التي تداهمه، وللتنديد بما يقوم به رجال السياسة من سلوك غيرواع لتهديد الحياة بأسرها معتمدين على العلم بجانبه التّدميري.

× مسيرة متميزة وعمل رائد:

راودني شعور صادق بأنني أحلّق مع باحث استثنائي في أجواء الخيال العلمي فتمهلتُ أطلب نبذة عن السيرة الذاتية للدكتور عمران، وبالذات المحطات الرئيسة التي أسهمت في تكوين هذه الشخصية المتميزة..

- كانت طفولتي مختلفة، عشت حالة من اليُتم في جو من البؤس المرير، واندفعت ولم أتجاوز الرابعة عشرة من عمري إلى القراءة، حتى صار الكتاب رفيقي الأثير، تعلقت خاصة بكتب المغامرات والأسفار والفضاء وتاريخ الحضارات القديمة، كما نظّمت الشعر الأمر الذي لفت انتباه مدرّس اللغة العربية الذي تنبّأ لي بمستقبل أدبي واعد، وكانت خطوة البداية مقالة لي نُشرت في «المجلة العسكرية» ممهورة بالتقدير، وكنتُ أيامها في الثامنة عشرة وحسب.

ومثّلت مرحلة دراستي في جامعة دمشق وإسهامي في الأنشطة الطلابية، محطة فاصلة في حياتي، إذ توالت مشاركاتي في صحافة الجامعة وفي المسرح الجامعي وما لبثت أن صرتُ مشرفاً على الركن العلمي بجريدة البعث، حيث نشرت عدداً من قصص الخيال العلني، ودفعني تقدير الشاعر الراحل «محمد الماغوط» والمسرحي الكبير «سعد الله ونوس» إلى تقديم أول مؤلّفاتي إلى لجنة التأليف والنشر في وزارة الثقافة لإجازته، وتوجهت بعد لأي إلى اللجنة أسأل الدكتورة «نجاح العطار» عن مصير الكتاب فأجابتني بعبارتها: كتاب «العالم من حولنا» للأستاذ طالب، إنه مؤلّف ممتاز، هل أنت ابنه؟ فأجبت بحياء: أنا طالب عمران، فنهضت وتقدّمت تصافحني بمودّة وتقدير، وما زلت إلى اليوم أستعيد عبارتها: أنا أتابع ما تكتب وأتوسّم بمستقبل زاهر ينتظرك.

وقد تحققت نبوءة الدكتورة «العطار» إذ ما لبث أن توالى ظهور مؤلّفاته الروائية في مجال أدب الخيال العلمي الذي لم يكن معروفاً في بلدنا أيامذاك.. وكان الهم الإنساني هو المحور الرئيس لكل ما أنتجته من روايات التي أعدّد منها: الزمن الصعب، في كوكب شبيه بالأرض، رواد الكوكب الأحمر، البُعد الخامس، مدينة خارج الزمن، الفتية الأغرار وأسفار الكشف، الأزمان المظلمة، وأخيراً رواية «مزون». وأعمال أخرى زاد عددها عن الثمانين.

× الحلم بعالم أفضل تسوده المحبة والسلام:

أربعون سنة انقضت على المسيرة العلمية الشائعة للدكتور طالب عمران المختص بعلم الفلك والنجوم، والأستاذ بكلية الهندسة المدنية بجامعة دمشق، ومنذ عام 1976 وهو الأديب العالم الأكثر كتابة في الخيال العلمي العربي، ودارت محاور إبداعه حول:

- أوبرا الفضاء، الظواهر الخارقة، البحث عن خلود الإنسان، البحث عن العوالم المفقودة، الاستبصار، المعالجة البيولوجية وعلم الجينات، تصوير حياة جديدة فوق الكواكب، كائنات العوالم الأخرى – استشراف المستقبل – رواية الاستشراف الكابوسي.

تتلخص الثيمات الكبرى التي شغلت فكر الدكتور طالب عمران في ثنائيتين: الصراع بين قوى الخير وقوى الشر، وتآلف العلم والسلام، فهو يحلم بعالم أفضل تتجسّد فيه المحبة والسلام، ويكون العلم فيه في خدمة الإنسان وإسعاد حياته، لذلك جسّد في أبطاله قيم الخير والمحبة، وشحذهم بالقيم الإنسانية العالية، وقد كان ذلك ردة فعل على ما يحدثه العلم من كوارث حين يتجاوز الإنسان إنسانيته.. رفع الدكتور عمران شعار «العلم في خدمة السلام» وبقي حلمه الذي كرّره في أكثر من قصة ورواية هو إنشاء مدينة علوم عربية فهي تارة تحت الصحراء القاحلة، وتارة في قاع المحيط، يجتمع فيها علماء عرب مهمتهم إلغاء الحروب من العالم وإقرار السلام، وتطويع العلم لخدمة الإنسانية.

> كائنات الفضاء ليست كائنات شريرة عدوانية، بل هي كائنات آمنت بالعلم والسلام بين الكواكب.. كائنات مهووسة بضرورة التعاون والمحبة.

كائنات الفضاء عنده ليست كائنات شريرة عدوانية، بل هي كائنات آمنت بالعلم والسلام بين الكواكب.. كائنات مهووسة بضرورة التعاون والمحبة بين سكان الأرض والكواكب، فهو يتمنى أن تعم الكون قيمتان أساسيتان هما: العلم والسلام.. وهو يرى أنه لا يمكن أن يوجد سلام ما لم يوجّه العالم وجهة إيجابية ترتقي بمستوى البشرية، ومن هنا جاء تأكيده على ترسيخ قيم الخير والأمن والمحبة، وتنتهي قصصه غالباً بانتصار الخير على قوى الشر، إذ العقل عنده هو لغة السلام.

× المؤامرة الكبرى، وهموم الوطن:

حدث في السنوات الأخيرة تطور ملفت للانتباه في نفسية الدكتور عمران وغيّر مسار كتابته، إذ صار كاتباً مهموماً يكابد آلام عصره، ويستشرف مستقبل العرب، فتسحبه همومه إلى تخيّل ما ستؤول إليه أحوالهم، هو مهموم من الحالة التي تمر بها أقطار الوطن العربي من أزمات منذ أحداث الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) 2001 يوم انهيار برجي التجارة في أمريكا، وما انجرّ عن هذا الحدث من تحوّلات في الوطن العربي.. واتضحت هذه الهموم في روايته «الأزمان المظلمة».. العمل الروائي الضخم الذي تكوّن من 425 صفحة ونُشر في الشهر الأول 2003 قبل حرب العراق وفوضى ما سُمّي بالربيع العربي الذي فتّت المنطقة، وتُرجم هذا العمل إلى الفرنسية، وفي هذه الرواية عاش المؤلف هذا الحادث الذي اصطنعته القوى العظمة في العالم، واتخذت من تفجير البرجين وسيلة ليصطف الغرب وراءها، وتغدو قائدة الكون، ولتوجّه الرأي العالم العالمي ضد العرب والمسلمين الذين صورتهم إرهابيين أشراراً، كما اتّخذت الحادث ذريعة للاستمرار في الاستيلاء على ثروات العرب وترسيخ مكان الكيان الصهيوني الغاصب في المنطقة.

لم تنطل مسألة تفجير البرجين على الدكتور عمران وعرف أنها مسرحية متقنة الإخراج فكتب «الأزمان المظلمة» الذي استشرف فيها الأحداث التي نعيشها اليوم، وبالذات نشر عصابات التطرّف الديني لتنفيذ المخططات الحاكمة لتفتيت دول الشرق الأوسط، ورسم خارطة جديدة للوطن العربي.. وكانت رواية «الأزمان المظلمة» بحق، أول عمل استشرافي في الوطن العربي، وكانت استبصاراته نوعاً من الرؤى والتنبؤات الكابوسية.

× أسئلة تبقى شُغل الفكر:

تغيّرت كتابات «الدكتور عمران» بعد أحداث أيلول 2001 ولم يعد ذلك الحالم بغد أفضل، بل بات مهموماً تشغله أسئلة ما ينفك يكررها:

- ما هو مصير الإنسان العربي في خضم هذه الأحداث؟ ما هو موقعه في المستقبل؟

- مَن نحن وإلى أين نسير؟.. هل نحن مَن نصنع مصيرنا أم مصيرنا مخطط له سلفاً!

- بالأمس الأندلس واليوم فلسطين، وغداً ماذا؟...

لكن الدكتور عمران يبقى متفائلاً برغم همومه... إنه يترك في روايته الباب مفتوحاً أمام بصيص من الأمل قد يأتي به الغد، وهو يرى أنّ السحر سينقلب على الساحر مهما طال الأمد، وأنّ انهيار بعض المجتمعات الغربية سيكون من الداخل لا محالة.

المصادر:

- لقاء وحوار مع الدكتور طالب عمران – حزيران 2016.
- ندوة للخيال العلمي في تونس – د. محمد الهادي عياد – مجلة الخيال العلمي 58 – آب 2016 - وزارة الثقافة – دمشق.
- طالب عمران.. رائد الخيال العلمي – د. محمد الهادي عياد – تونس 2016.
- الكتابة في الخيال العلمي وهاجس المستقبل – د. طالب عمران – مجلة الخيال العلمي – العدد 58

الأسبوع الأدبي

المراسلات

الجمهورية العربية السورية - دمشق -ص ب(3230) - هاتف 6117240-6117241 -فاكس 6117244- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير. هاتف الاشتراكات 6117242

ثمن العدد داخل القطر 25 ل.س - في الوطن العربي: 0,5 $ خارج الوطن العربي1$ أو ما يعادله. تضاف أجور البريد للمشتركين خارج سورية

الاشترك السنوي -داخل القطر:أعضاء اتحاد الكتاب العرب 700 ل س - للأفراد2000ل.س -وزارات ومؤسسات2400ل.س - في الوطن العربي:للأفراد6000ل.س أو150$ - للوزارات والمؤسسات 8000س أو175$-خارج الوطن العربي:للأفراد 20000ل.س أو 360$ - للمؤسسات30000ل.س أو420$ والقيمة تسدد مقدماً بشيك مصرفي لأمر اتحاد الكتاب العرب -دمشق ويرجى عدم إرسال عملات نقدية بالبريد.

الآراء والأفكار التي تنشرها الصحيفة تعبر عن وجة نظر كاتبها

www.awu.sy

E-mail :
alesboa2016@hotmail.com

للنشر في الأسبوع الأدبي

يراعى أن تكون المادة:
- غير منشورة ورقياً أو عبر الشابكة.
- منضدة ومراجعة ومدققة مع مراعاة التشكيل حين اللزوم، وعلامات الترقيم.
- ألا تتجاوز المادة المرسلة /800/ ثمانمائة كلمة.
- يرفق مع المادة CD أو ترسل عبر البريد الالكتروني aru@tarassul.sy
- يرفق مع المادة الصور المناسبة إذا لزم الأمر.

أعلام

حامد حسن

شاعر، وأديب، ومرب

ولد في الدريكيش (مُحافظة طرطوس) في كانون الأول 1915 ونشأ في قرية (الحرية) التابعة للدريكيش.

تلقى تعليمه في (اللاييك) طرطوس، وفي كلية القديس يوسف (الآداب العربية المدرسية). وعمل في حقل التعليم (18) عاماً، فدرس اللغة العربية وآدابها في الدريكيش، وأصبح مديراً للثانوية الأرثذوكسية في «السودا- طرطوس». وأصدر مجلة (النهضة بالاشتراك مع الدكتور وجيه محيي الدين عام 1938 في طرطوس. وعين في لجنة الشعر في المجلس الأعلى للآداب والفنون والعلوم الاجتماعية في دمشق.

انتقل عام 1936 من وزارة التعليم الى وزارة الثقافة والارشاد القومي، فعمل في دائرة المراكز الثقافية وفي مديرية التأليف والنشر. وأحيل عام 1975 الى التقاعد وتفرغ للشعر والبحث. بدأ النشر في الثلاثينات، ووضع نشيد الجامعة العربية عام 1948.

عضو جمعية الشعر.

من مؤلفاته:

- ثورة العاطفة- شعر (أربعة أجزاء)- طرابلس، لبنان 1939.
- المهوى السحيق- تمثيلية شعرية- طرابلس- لبنان 1942.
- في سبيل الحقيقة والتاريخ- دراسة- الأرجنتين 1945.
- عبق- شعر- دمشق 1960.
- أفراح الريف- أوبريت 1964.
- الريف الثائر- أوبريت 1965.
- أضاميم الأصيل- شعر- دمشق 1968.
- الخنساء- مسرحية 1968.
- صالح العلي ثائراً وشاعراً- دراسة ومختارات- دمشق 1974.
- الشعر بنية وتشريحاً- دراسة مؤسسة الوحدة- دمشق 1987.
- المجموعة الكاملة (الجزء الأول)- شعر 1988.

توفي 1999/7/4

آخر الكلام

•أ.محمد حديفي

صيدٌ في الماء العكر

لهذه الحرب الظالمة القاسية التي شُنت علينا، والتي شاءها أعداء الله والإنسانية أن تحرق وتدمر كل شيء، الكثير من المساوئ والمثالب، إن لم تكن كلها سيئات ومثالب، باستثناء أمر واحد فقط، وهو أنها أسهمت بغير ما يشتهيه أعداؤنا في كشف ضِعاف النفوس الذين كانوا يتسترون بادعاءات كاذبة وخادعة ليوهموا الآخرين بأنهم من أشد المخلصين للوطن وترابه والساكنين في بيوته آمنين وهانئين..

فما أن وضعت الحرب أوزارها حتى وجد أعداء الداخل مناخهم المناسب وريحهم المواتية، ليعيثوا فساداً في هذه الأرض، ويحققوا مكاسبهم الشخصية القذرة، ولو كان ذلك على حساب الوطن ومصالحه وتطلعاته..

يرى جبران خليل جبران.. أن الأفعى التي لا تستطيع أن تخلع ثوبها في الربيع تتهم الأخريات بالعري وقلة الحياء، والثور الذي لا يستطيع أن يكسر نيره يتهم الآخرين بالتمرد وإحداث الفوضى والشغب والخروج عن المألوف..

من يسعى لتحقيق مصالحه الشخصية الرخيصة على حساب المسار السوي لتحقيق أهداف الوطن وتطلعات أبنائه يسهم في إضعاف الوطن الذي يكافح للنهوض من تحت الركام الذي أهالته الحرب على حضارته ومنجزاته عبر التاريخ والأزمنة والحقب..

من يسعى ليحقق المكاسب بالطرق الملتوية والأساليب المواربة المخادعة يسهم في إضعاف الوطن ولجم مساره وهو يدرأ عن نفسه كل هذا الخراب وكل هذا الدمار..

من يحاول وضع العصي في عجلة التطور التي تكابد من أجل أن تواصل السير في زمن كل ما فيه مصاعب تلقي بظلالها الضاغطة على كل شيء يسهم مع أعداء الوطن في إطالة أمد الأزمة وقهر المواطن وإذلاله وزيادة معاناته في الوقت الذي يحار من أين يتدبر أمر نفسه وأسرته لمواجهة الحياة التي أصبحت أقسى وأكبر من طاقاته وإمكانياته..

والآن، في هذا الوقت الذي يقف الجيش العربي السوري وأعوانه من الشرفاء في هذا العالم، ليواصلوا الليل بالنهار دفاعاً عن حدود الوطن وترابه وسكانه ومقدساته نجد أعداء الداخل يبدعون الوسائل والأساليب الكفيلة بعرقلة الصمود، وإضعاف المواقف بما يحيكونه في الظلام للسطو على حقوق الآخرين وممتلكاتهم، وثني الشرفاء من أبنائه عن العمل تحت الشمس ليكونوا رديفاً لهذا الجيش داخل حدود الوطن، وذلك من أجل أن تتضافر الجهود وتتكامل المساعي التي من شأنها مواصلة المسيرة وتطهير الأرض من كل ما ينهال عليها من حقد وقتل وتنكيل ودمار..

سوف لن نكون متشائمين، ولن نمكّن اليأس من أن يجد طريقاً إلى عزيمتنا، فنحن اعتدنا أن نجابه المخاطر والصعاب إن لم نقل الكوارث، وسوف لن ندع وصولياً هنا أو حاقداً هناك يعبث بالمسار الصائب الذي يسلكه شرفاء الوطن، وهم يواصلون صعوداً من أجل تطهير الأرض، وإزالة الركام، والبدء من جديد في مسيرة البناء، لأننا جديرين بالنهوض، وجديرين بالأرض، وجديرين بإعادة كتابة التاريخ..

إرادتنا التي لن يثني عزيمتها أو يلوي ذراعها أي شيء ماضية في حفر الطريق وتعبيده.. ولكي نكون جديرين بوطن معافى، ومطهر من كل ما يشوب ترابه سنبقى أوفياء لهذا الوطن بترابه المجبول بالدم مرات ومرات، وتاريخه الذي ما سجل إلا الملاحم والبطولات، وشهدائه الذين ما زالت أرواحهم ترفرف بيننا لتحثنا على الصمود والبذل والعطاء ومواصلة المسير.. علينا أن نقلل من أهمية ما ينتظرنا في المستقبل، لأن الآتي قد يكون هو الأعظم، ولكننا وبإرادتنا الصلبة وأهدافنا النبيلة التي وضعناها مسار عمل، وأقسمنا على تحقيقها مهما كانت جسامة التضحيات سننتصر، وسنثبت للعالم بأسره أن دولة اسمها سورية رسّخت للكون بأسره مبدءاً يُحتذى وتُضرب به الأمثال، في أن صاحب الحق هو من سينتصر في نهاية الأمر، وأن المهم هو نبل المسعى، وسمو الهدف، والاستعداد الدائم للبذل وتقديم التضحيات..

اعتدنا أن نسمع عملاء الداخل ونراهم بيننا يطلقون الإشاعات، ويحبطون العزائم، ويسطون على قوت المواطن بشتى الوسائل والسبل المتاحة لهم، وهي كثيرة في هذا الزمن، لكن ذلك كله سوف لن يفلح في تحقيق أهداف أعداء الوطن، لأن المواطن حتى العادي أصبح يدرك بأن هؤلاء أشبه ما يكونون بالطفيليات التي تعيش على أجسادنا ولابد لتطهير هذه الأجساد عاجلاً كان ذلك أم عاجلاً وبخاصة أنهم أصبحوا مكشوفين لنا وحركاتهم المشبوهة معروفة ومرصودة..

يبدو لي، ومن خلال ما أفرزته هذه الحرب، ومن خلال المشاهدات اليومية أيضاً، بأن الوصوليين والرماديين والمحايدين الذين هم أشد خطراً من الأعداء الذين نقاتلهم على الحدود قد أسقط في يدهم الآن بعد أن أدركوا بأن سورية أقوى مما كانوا يظنون، وبأن جيشها الذي يشككون بقدراته وبسالته، ها هو يقدم الدليل على الأرض بأنه الجيش الوطني بامتياز، القادر على الثبات والصمود، والقادر أيضاً على تحرير الأرض وصون ترابها الوطني، لذا أراهم الآن في حيرة من أمرهم، وبخاصة أن الدول التي أغدقت عليهم الأموال خفْيةً قد أسقط في يدها أيضاً، إذ أنها وبعد أن بذلت المليارات من الدولارات على شراء الأسلحة، وشراء الضمائر، وصلت لطريق مسدود، وصارت هي وحدودها مشاعاً للإرهابيين الذين دربتهم ومولتهم وأرسلتهم لقتل الشعب العربي السوري، وليس أدل على ذلك من موقف العثماني (رجب طيب أردوغان)، الذي غرق في التآمر على سورية حتى أذنيه، ولم يترك وسيلة من وسائل التخريب إلا وسلكها، وقد أسفر في أكثر من موقف عن أهدافه الرخيصة، ومراميه الحاقدة مسكوناً بأحلام العثمانيين من أجداده الطامحين إلى السيطرة على التراب السوري، إلا أن السوريين وفي مقدمتهم الجيش العربي السوري قد أحالوا أحلامه المشبوهة إلى ويلات ارتدّت دماراً عليه، فتحول من طاووس يختال على المنابر إلى حائر تائه لا يعرف كيف سيدرأ عن نفسه شرور من دَربهم وسهّل مرورهم إلى سورية، وها هو الآن يتخبط فوق أرض رخوة بعد أن وصلت النار إلى أذياله ليدرك أن طابخ السم لابد أن يتجرّع مرارته ذات يوم، ولا يغيب عن بالنا ما سينتظر بعض حكام الخليج الذين أغرقوا أنفسهم وشعوبهم في وحول كانوا بغنىً عنها لو أنهم انصرفوا لتحقيق العدالة في توزيع ثرواتهم التي جادت بها الأرض، وأنصفوا شعوبهم وعملوا على تطورها وتقدمها وتحصيل العلم بدلاً من شراء الأسلحة وبذل الأموال الطائلة لتدمير سورية وقتل السوريين..

أمام هذا المشهد نجد السوريين متمسكين بأصالتهم وعروبتهم، لأن مبادئهم الراسخة التي تحضّ على الوحدة العربية، وترسيخ القومية العربية، وتوجيه الجهود لمحاربة الكيان الصهيوني مغتصب الأرض تأبى أن تنحرف عن مبادئها وأهدافها لتعمل على ردات الفعل لأن العروبة والأصالة راسخة في أعماق السوريين، ولأن سورية ومنذ الأزل هي قلب العروبة النابض.

mouhammad.houdaifi@gmail.com

الأسبوع الأدبي

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن
تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق
أسست وصدرت ابتداءً من عام ١٩٨٦

المدير المسؤول:
أ.د.نضال الصالح
رئيس اتحاد الكتاب العرب

رئيس التحرير:
أ.محمد حديفي

مدير التحرير:
د.حسن حميد

هيئة التحرير:
د.سليم بركات-سوزان إبراهيم
- غسان كامل ونوس.فادية غيبور-د.يوسف جاد الحقّ

الإشراف الفني:
نضال فهيم عيسى

رئيس القسم الفني:
مها حسن

جائزة حنا مينة للرواية العربية

تعلن وزارة الثقافة – الهيئة العامة السورية للكتاب عن فتح باب الترشيح لجائزة حنا مينة للرواية العربية للكتّاب العرب السوريين والمقيمين في سورية، تشجيعاً للتنافس على تقديم أفضل النصوص الروائية لدى كتاب الرواية واكتشافاً للأصوات الجديدة التي لم تأخذ حقها من الانتشار، وفق الأحكام والشروط الآتية:

أولاً: قيمة الجائزة:

- القيمة الكلية للجائزة مليون ومئتا ألف ليرة سورية توزع على ثلاثة فائزين:

- الأول: (500000 ل.س) خمسمئة ألف ليرة سورية.
- الثاني: (400000 ل.س) أربعمئة الف ليرة سورية.
- الثالث: (300000 ل.س) ثلاثمئة ألف ليرة سورية.

ويقدّم لكل فائز درعٌ خاص في حفل توزيع الجوائز برعاية السيّد وزير الثقافة، وتطبع الأعمال الثلاثة الفائزة في الهيئة العامّة السوريّة للكتاب وفق الشروط المعمول بها أصولاً.

ثانياً: شروط التقدم للجائزة:

-1 الجائزة خاصة بالفنّ الروائي، ولا تقبل المخطوطات التي تنتمي إلى أجناس أدبية أخرى.

-2 لا تقبل المخطوطات الروائية المنشورة إلكترونياً أو الصادرة عن دور نشر ورقيا أو المقدمة إلى أي جائزة أخرى.

-3 أن يقدم المشارك ثلاث نسخ ورقية للمخطوط باللغة العربية الفصحى، ونسخة C.D مطابقة للورقية ومدققة لغوياً، ومرفقة بصورة الهوية الشخصية والعنوان ورقم الهاتف وموجز السيرة الذاتية وصورة شخصيّة.

-4 أن يوقع المشارك تعهداً بملكيته الخاصة للمخطوطة وبعدم دفعها إلى أي دار نشر أو جائزة أخرى قبل الإعلان عن نتائج الجائزة، ويتم حجب الجائزة في حال ثبت ما يخالف ذلك.

-5 تشكل لجنة تحكيم خاصة بالجائزة ويعد قرارها قطعياً إلا إذا ثبت لدى الجنة المنظمة ما يخالف شروط الجائزة وأهدافها.

-6 لا تعاد الأعمال المشاركة إلى مؤلفيها سواء فازت أم لم تفز. وتعد الأعمال الفائزة ملكا للهيئة العامة السورية للكتاب ولها الحق في نشرها والتصرف بها لمدة خمس سنوات.

-7 يبدأ التقدم إلى الجائزة بدءاً من 2017/2/1 حتى 2017/7/30.

-8 آخر موعد لإعلان قرار لجنة التحكيم نهاية الشهر العاشر 2017.

-9 تسلم المخطوطات باليد إلى ديوان الهيئة العامة السورية للكتاب، أو ترسل بالبريد إلى الهيئة العامة السورية للكتاب /دمشق/ الروضة. ويكتب على المغلف (جائزة حنا مينة للرواية 2017).